هولنـــــدا
والعالـم العربي

منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين

العلوم ، اللغة ، التجارة ، الثقافة والفن

الدكتــور نيقولاوس فان دام (التحرير) .
البروفيسور الدكتور يان بروخمان .
الاستـــاذ كورنيلس خ . براور .
الدكتــور الكسندر هـ. ده خروت .
الدكتــور بن ي. سلوت .
الاستـــاذ يان يوست فيتكام .

CIP

ISBN 90 352 1180 4 (paperback)

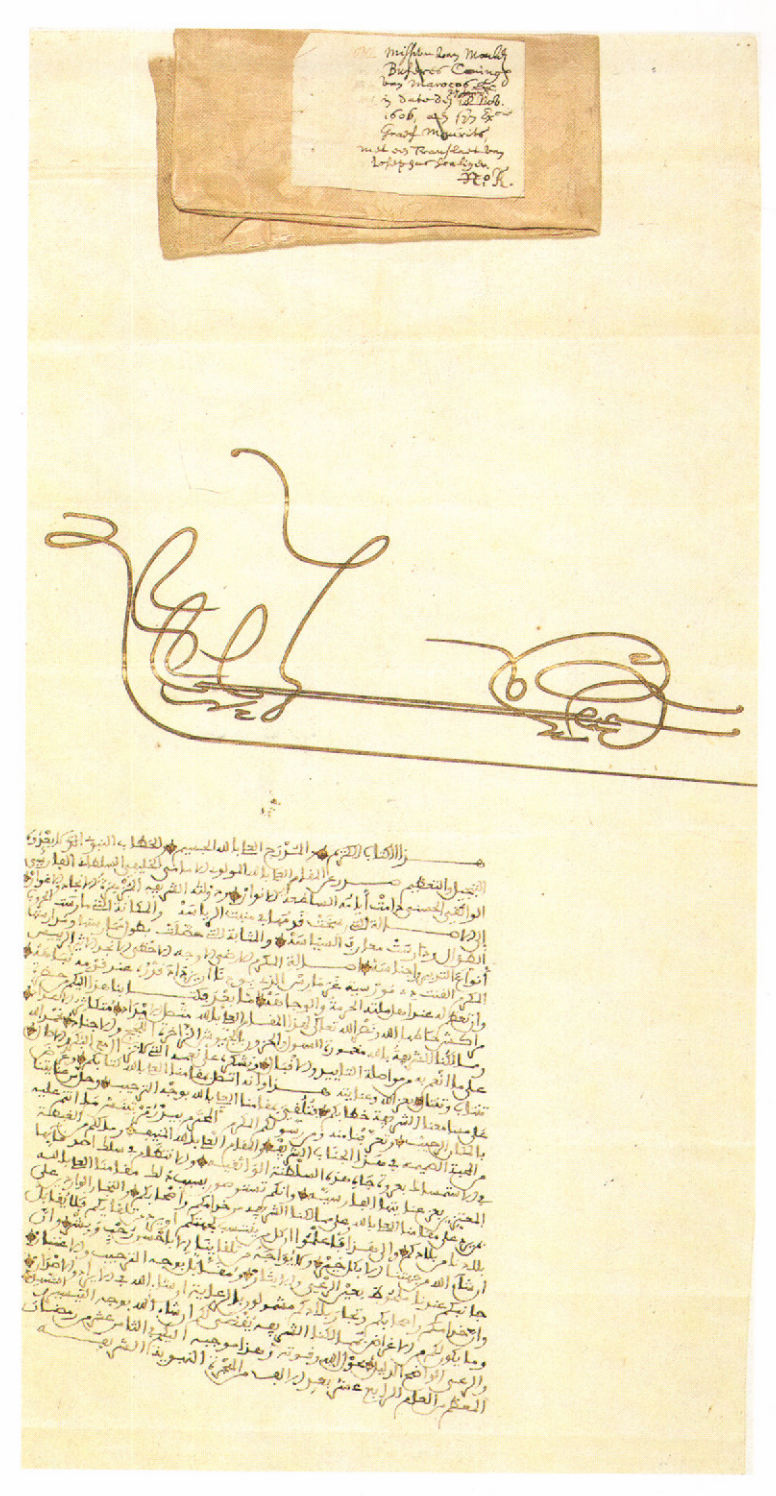
ISBN 90 352 1154 5 (Cloth)

ظهرت هذه النشرة إلى النور بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي ، هولندا.

تعريب :أسعد جابر.

المحتويـــات

لوحة الغلاف : (منظر للجزائر وسفينة أمير البحر الهولندي ده رايتر « الحب ») ، (١٦٦٢) ، من عمل رينير نومس المدعو ب ــ زيمان (١٦٢٣ــ٨/١٦٦٧) . صورة زيتية على قماش (٦٣×١١٠ سم) . متحف الدولة في امستردام



١ — « رسالة من مولاي بوفارس ملك المغرب إلى صاحب السعادة الكونت ماوريتس » (ومنذ ١٦١٨ أمير فان أورانيي ، أمير هولندا) ، من ٢٧ يناير ١٦٠٦ ، أقدم رسالة عربية أصلية موجودة في أرشيف الدولة العام . S G 12594 - 1 .

المقـــــدمة

معالي وزير الخارجية السيد هانس فان دن بروك

كم أشعر بالغبطة في كتابتي مقدمة هذه المجموعة من المقالات التي تتناول العلاقات بين هولندا والعالم العربي . وإن دلت هذه المقالات على شيء فهي لا تدل فقط على الاهتمام الكبير لهولندا بالعالم العربي وبحضارته الغنية وبلغته وتاريخه وذلك منذ القدم وحتى أيامنا هذه ، وأنما يمكن رؤيتها في نفس الوقت كانعكاس لرغبة الجانبين المتبادلة في سبيل تمتين وتعميق العلاقات القائمة بين هولندا والعالم العربي .

ويمكنني أن أؤكد شخصياً ما تتصف به هذه العلاقة من متانة ، وذلك عبر زياراتي المتعددة التي قمت بها إلى معظم الأقطار العربية بصفتي وزيراً للخارجية خلال السنوات الماضية . فخلال لقاءاتي بالقادة والسياسيين وأصحاب المقام الرفيع من العرب ، لمست وجود رغبة في الجانب العربي أيضاً من أجل الوصول إلى فهم أفضل لهولندا . فمن حين لآخر تظهر فجوة متبادلة في معرفة كلا الجانبين لخلفية الآخر ، الأمر الذي يمكن أن يؤدي وبسهولة إلى سوء في الفهم . لذا فقد استصوبت ومن هذه الزاوية أيضاً ، ظهور هذه المجموعة ، لأن معرفة عميقة لمجتمعاتنا في الماضي يمكنها أن تكون وسيلة تسهم في تنمية الفهم والوعي المتبادل من كلا الجانبين في وقتنا الحاضر .

لقد قام بكتابة هذه المقالات عُلماء من طليعة العُلماء الهولنديين والذين تقع على عاتقهم كامل المسؤولية فيما كتبوا . وتُشكل هذه المقالات وحدة مترابطة تدور حول العلاقات المتعددة الجوانب التي سادت بين هولندا والعرب وذلك عبر فترة تربو على السبعمئة سنة وتصل إلى القرن العشرين .

لقد دأب الهولنديون منذ القرون الوسطى على زيارة العالم العربي ، كحجاج وفنانين وملاحين وتجار في المرحلة الأولى ، ثم لاحقاً كرحالة مكتشفين وعلماء وتقنيين ودبلوماسيين . وتزودنا الصفحات التالية بقصة متسلسلة حول هذه العلاقات وما تلاها . فتدخلنا المقالة الأولى إلى عالم « الدراسات العربية في هولندا » والتي لعب الهولنديون فيها دوراً طليعياً في أوروبا وذلك منذ القرن السابع عشر . وعبر اهتمامهم المتزايد بالإسلام وبالعرب لغة وحضارة ، استطاع العلماء الهولنديون من أن يسهموا اسهاماً على جانب كبير من الأهمية في مجال تطوير فهم أفضل للعرب .

أما المقال الثاني فيوجه الاهتمام إلى مجموعات المخطوطات والمطبوعات العربية الموجودة في هولندا والتي تضم أعمالاً فريدة من حيث عدم وجود نسخة ثانية لها .

وقد تمحورت المقالات التالية حول دراسة النشاطات الهولندية عبر القرون الماضية على سواحل شبه الجزيرة العربية كما في المغرب والمشرق ، وذلك من خلال دراسة المواد المتوفرة في الأراشيف الهولندية .

فعندما تأسست في هولندا في القرن السابع عشر شركة الهند الشرقية والتي لعلها أصبحت أقوى هيكل تجاري في العالم ، كان الأسطول الهولندي كذلك من أقوى أساطيل العالم ، عندها تمّ اجراء مختلف الرحلات

الاستكشافية في العالم العربي . وكذلك عقدت المعاهدات وأنشئت المراكز الهولندية وتمّ تعيين الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين . وبذلك أرسيت أُسس العلاقات الهولندية ــ العربية في المجالات الاقتصادية والسياسية للقرون القادمة .

أما المقال الأخير فيضم لائحة مهمة من المفردات الهولندية ذات الأصل العربي وهي أكثر مما يخطر على بال المرء . وما وجود مثل هذه المفردات ذات الأصل العربي إلا علامة إلى ما وصل إليه العرب من تأثير واشعاع في مختلف المجالات وذلك على مرّ القرون .

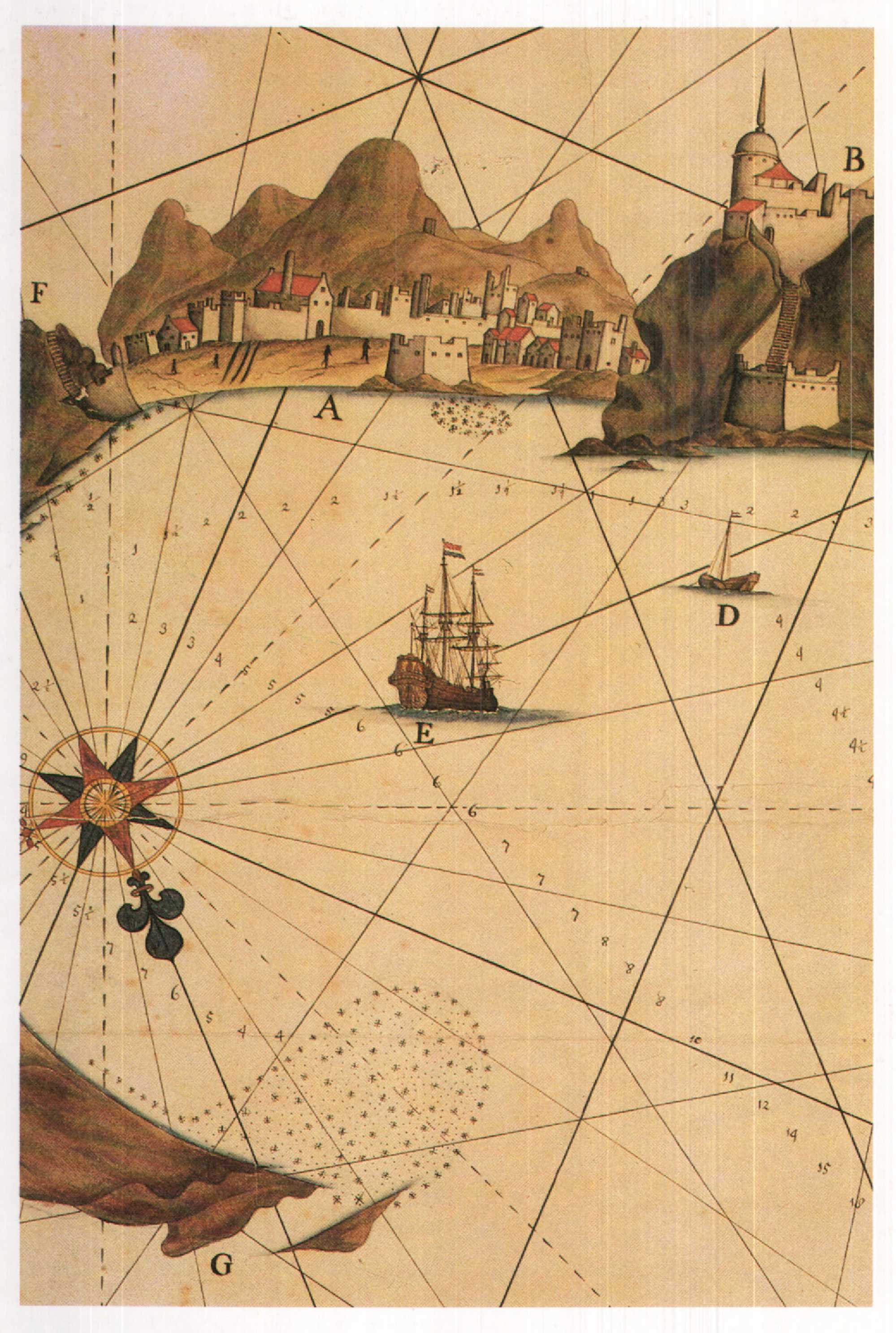
كما وقام العديد من الفنانين الهولنديين بالتجول في البُلدان العربية منذ القرون الوسطى ، فأسهموا بصياغة انطباعاتهم عبر اللوحات الزيتية والمائية والصور أو بالحفر على الخشب .. إلخ .

تضم دفتيّ هذا الكتاب نبذة مختارة من الأعمال الفنية المترابطة وذلك كوسائل إيضاحية . وما هذه الأعمال إلا وثيقة تاريخية عن ماض لا يعرف عنه إلا القليل . كما وتضم كوسائل إيضاحية بعض أمثال من المخطوطات والوثائق العربية الموجودة في الأراشيف الهولندية ، وكذلك بعض الخرائط ذات الأهمية التاريخية والتي تمّ انجازها خلال رحلات الهولنديين الاستكشافية إلى العالم العربي .

إن مدى الأهمية في نشر مثل هذه الوسائل الإيضاحية ضمن مجموعة مقالات بالعربية وبالهولندية لهو أمر بدهي .

وكلي أمل في أن يلقى هذا الكتاب الاهتمام الذي يستحقه وأن يسهم في انماء الاهتمام والمعرفة المتبادلة بين هولندا والعالم العربي .

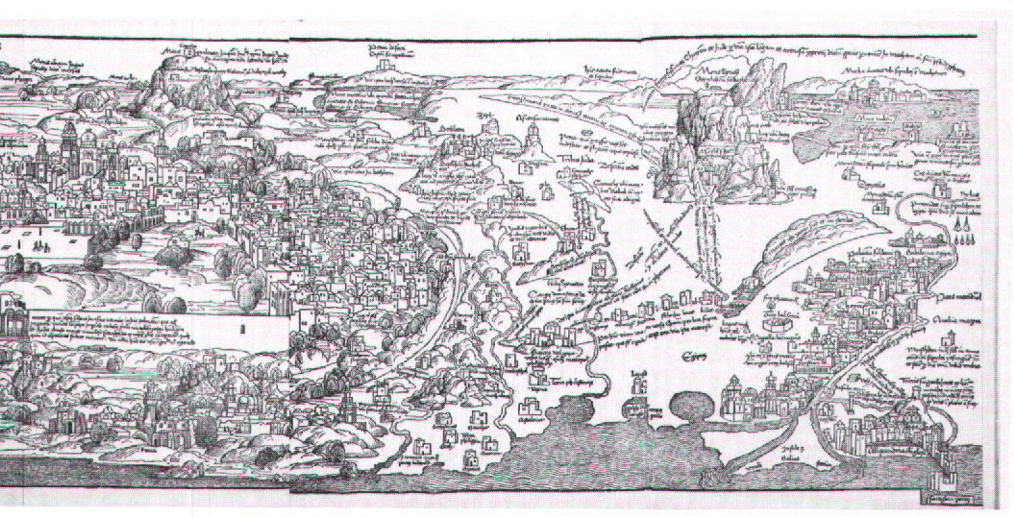
(هانس فان دن بروك)



٢ — « خليج ومدينة مسقط » حيث نرى سفينتين هولنديتين . مخطوطة لخارطة مجهولة (١٦٩٦) ، مكتبة ليدن الجامعية 7 - 14 - VI .



٣ ــ إدوارد ريفايك (من اوتريخت) ، العرب في فلسطين في ١٤٨٣ . حفر على الخشب (١٢ × ٨ سم) . من **الرحلة في البلاد المقدسة . تقرير عن رحلة سنة ١٤٨٣ لبرنهارد فون بريدنباخ** ، (ماينز ، ١٤٨٦) . أقدم وصف مطبوع لرحلة حج إلى فلسطين مزود بالصور الإيضاحية . متحف الملاحة البحرية في أمستردام .



٤ ــ إدوارد ريفايك (من اوتريخت) ، خارطة عامة للمشرق العربي من سنة ١٤٨٣ وتشمل سوريا ، فلسطين ، لبنان ، مصر ومكة . حفر على الخشب (١٢٦ × ٢٧٫٥ سم) من **الرحلة في البلاد المقدسة** لبرنهارد فون بريدنباخ ، (ماينز ، ١٤٨٦) . متحف الملاحة البحرية في أمستردام .

الدراسات العربية في هولندا

البروفيسور الدكتور يان بروخمان *

إن الدور الريادي الذي أخذ يلعبه الهولنديون في القرن السابع عشر في مجال الدراسات العربية ، قد جاء متأخراً مقارنة باهتمام كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا بالثقافة العربية . ولا شك في أن بطء إنجاز النظم السياسية في هذه البلاد المنخفضة قد لعب الدور الأساسي ، فلم تدخل الثقافة هولندا ذات السبخات إلّا بحذر وذلك لصعوبة السفر والتنقل فيها . ومع أن هولندا وحتى حوالي سنة (١٢٠٠) وكما يقول المؤرخ بسكن هويت لم تكن تملك « لا لغة ولا أسطولاً ، لا سلالة حاكمة ولا إكليروسا ، لا نبلاء ولا نواة للطبقة الوسطى » . ولكن في القرن الثالث عشر ساهمت هولندا « مستقلة في حملة أوروبية يمكن القول بأنها أدخلتها العالم » .

أما هذه « الحملة الأوروبية » فلم تكن إلّا الحملة الصليبية إلى دمياط سنة (١٢١٩) والتي انتهت بهزيمة ساحقة وقد لعب الكونت الهولندي دوراً مهماً في هذه الحملة . وبطبيعة الحال فإن مثل هذا الاتصال لا يمكن أن يثبت أي فهم عميق لا بالإسلام ولا بالثقافة العربية . فلا عجب أن شارك الهولنديون بقية أوروبا الأجحاف بالإسلام وبالعرب الذين سُمّوا آنذاك « بالسراسين » وقد استمر عدم الفهم هذا طوال القرون الوسطى .

---

* البروفيسور الدكتور يان بروخمان يشغل منصب كرسي اللغة والحضارة العربية في العصر الحديث في جامعة ليدن ، هولندا .



ولقد طرأ تغير سريع خلال حرب الثمانين سنة (١٥٦٨ ــ ١٦٤٨) والتي كانت نتيجتها انتزاع القسم الشمالي من البلاد المنخفضة إستقلاله من إسبانيا وذلك بعد صراع مرير ومعارك ضارية . فلم تمر إلّا بضع سنين على بداية هذه الحرب ، حتى تأسست أول جامعة في شمال هولندا وذلك في ليدن سنة (١٥٧٥) ، لتعذر الوصول إلى الجامعة القديمة في لوفن الواقعة في القسم الجنوبي من هولندا والتي لم تزل محتلة بالجيش الإسباني . وللحقيقة فإن صعوبة الوصول إلى الجامعة القديمة في لوفن لم يكن الباعث الوحيد لوضع حجر الأساس للجامعة الجديدة ، وإنما كان الهدف من الجامعة الجديدة ومنذ البداية هو أن تكون مركز تدريب للقساوسة البروتستانت ، ذلك لأن الحرب لم تكن فقط للاستقلال وإنما للحرية الدينية وللإصلاح البروتستانتي الذي حاربه الحكام الكاثوليك بالنار والسيف وذلك بالمعنى الحرفي للكلمة .

لقد سيطر اللاهوتيون البروتستانت في ليدن مما مكّنهم منذ البداية من أن يلعبوا دوراً مهمّاً في التركيز على البحث المستقل في التوراة والإنجيل ، وبطبيعة الحال الاهتمام باللغات التي كان الكتاب المقدس مكتوباً بها . وبما أن العهد القديم قد كتب باللغة العبرية وبالارامية فلا عجب أن ازدهرت دراسة هاتين اللغتين منذ البداية في ليدن . وبشكل منطقي أُوتوماتيكي أدّت هذه الدراسة إلى دراسة اللغة العربية .

إن معجمية اللغة العربية العملاقة وسعة أدبها ونحوها الموصوف بالدقّة ، كلها مجتمعة قد وضعت حولها هالة من الأهمية وذلك من أجل فهم أفضل للغة العهد القديم . وسوف يبقى هذا الباعث لدراسة العربية عنصر جذب وذلك لقرون طويلة وسوف يظهر ذلك لاحقاً . فلا عجب والأمر كذلك ــ أن يكون أول أستاذ كرسي العربية في جامعة ليدن هو نفسه أستاذ كرسي العبرية . أما اسم هذا الأستاذ فهو فان رافلينخن (رافلينخيوس باللاتينية) . وهو صهر صاحب المطبعة الشهير بلانتين من انتفرب ، والذي بعد أن قمع الجيش الأسباني مقاومة مدينته واحتلها سنة (١٥٨٥) قام بتأسيس فرع لمطبعته في ليدن . وقد كانت اللغة العربية واحدة من اللغات التي طبع بلانتين بها الكتاب المقدس المتعدد اللغات . ولم ينشر رافلينخيوس فقط كُتيّباً يحوي نماذج الخطوط العربية وذلك سنة (١٥٩٥) ، بل أنه بعمله وكدّه ألّف قاموساً عربياً قام أبناؤه بنشره بعد وفاته (لوحة ٥) . ولم يُعمر رافلينخيوس طويلاً فمات سنة (١٥٩٧) . وكان المدرسون الذين جاءوا بعد وفاته لتدريس اللغة العربية ، أقل شأناً منه ، لكن أول أستاذ متخصص شغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية كان فان اربين (باللغة اللاتينية أربينيوس) والذي عُين سنة (١٦١٣) . لقد درس أربينيوس اللاهوت في ليدن ومن الأرجح أنه لم يكن يعرف اللغة العربية عند تخرجه عام (١٦٠٨) . ولقد وعى الأساتذة في ليدن مدى أهمية اللغة العربية ، وخاصة العالم الفرنسي سكاليخر والذي تمّ تعيينه في الجامعة الفتية من أجل اضفاء بعض من البريق والأهمية عليها . ولقد تعلم سكاليخر ذو البراعات المتعددة اللغة العربية فاستعمل مصادر عربية من أجل عمله التاريخي الكبير « في إصلاح التقويم » .

ومن الأرجح أن يكون سكاليخر هو الذي فتح عيني أربينيوس على أهمية اللغة العربية وقام بتزويده ــ وكان طالباً حديث العهد بالتخرج ــ برسالة تزكية حملها معه أثناء سفره للدراسة عبر أوروبا سنة (١٦٠٨) كما كان متبعاً في ذلك العصر .

لقد بدأ أربينيوس بدراسة العربية خلال سفره هذا،فغادر أولاً إلى إنجلترا حيث تعرف على مباديء هذه اللغة عبر المدعو بدويل الذي كان قساً في توتنهام بالقرب من لندن،والذي لم يكن أستاذاً للغة العربية إذ لم يتم تأسيس مثل هذا المنصب إلا سنة (١٦٣٠) . وبعد اقامة قصيرة في إنجلترا غادرها متوجهاً إلى باريس وذلك

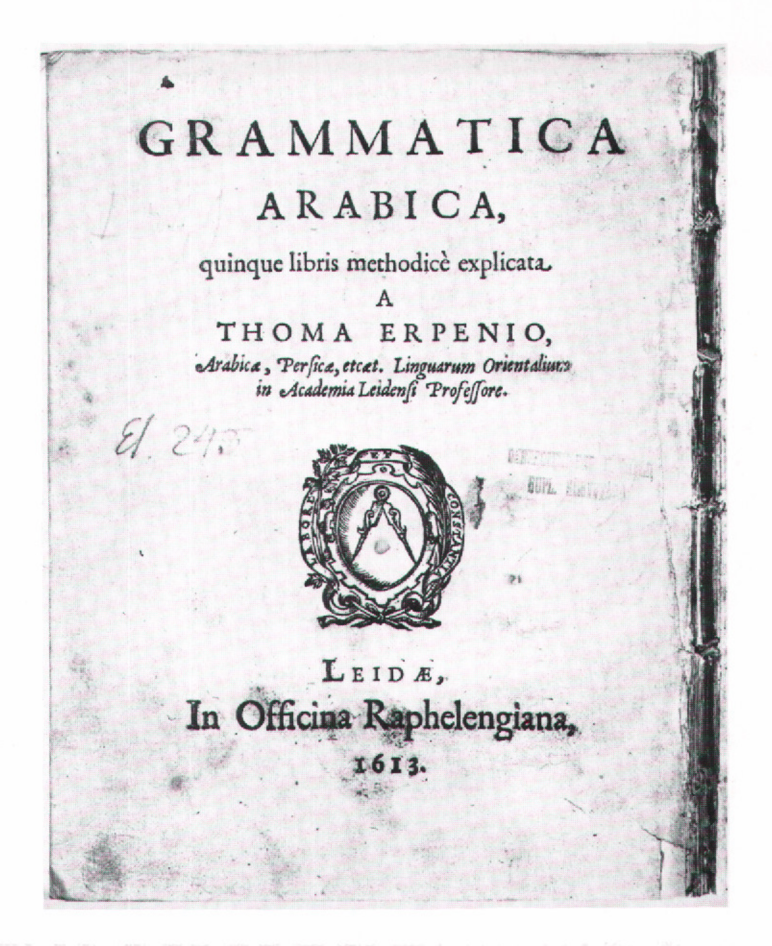
4

Alphabetum Arabicum.

t	ط ط	Ta	a	ا ـا ا ا	Aliph
thd	ظ ظ	Thda	b	ب ـب ـبـ بـ	Be
ע	ع ـع ـعـ عـ	Ain	t	ت ـت ـتـ تـ	Te
gh	غ ـغ ـغـ غـ	Ghain	th	ث ـث ـثـ ثـ	The
ph	ف ـف ـفـ فـ	Phe	g	ج ـج ـجـ جـ	Gim
qc	ق ـق ـقـ قـ	Caph	hh	ح ـح ـحـ حـ	Hha
k	ك ـك ـكـ كـ	Kaph	ch	خ ـخ ـخـ خـ	Cha
l	ل ـل ـلـ لـ	Lam	d	د ـد	Dal
m	م ـم ـمـ مـ	Mim	dh	ذ ـذ	Dhal
n	ن ـن ـنـ نـ	Nun	r	ر	Re
h	ه ـه ـهـ هـ	He	z	ز	Zain
v	و ـو	Vau	ſ	س ـس ـسـ سـ	Sin
j	ي ـي ـيـ يـ	Ie	ſc	ش ـش	Scin
			ſ	ص ـص ـصـ صـ	Sad
la	لا	Lam Aliph	dh	ض ـض ـضـ ضـ	Dhad

٥ — نمازج من الحروف العربية لرافيلينخن (ليدن ، ١٥٩٥) ، ولقد أضيفت إلى بعض هذه الحروف من الخط **النسخي** ، الحروف المقابلة بالخط **المغربي** . مكتبة ليدن الجامعية .

في بداية عام (١٦٠٩) والذي من المحتمل أن يكون قد بدأ دراسة اللغة العربية بشكل جدّي فيها. ومن الطبيعي أن تكون رسالة التوصية التي زوده بها سكاليخر، قد دفعت العالم الشهير كازوبونوس من أن يساعده ويسمح له بفحص مخطوطاته العربية الخاصة. ولاتظهر براعة أربينيوس في اللغة العربية فقط من رسالته التي وجهها إلى بدويل في سبتمبر (١٦٠٩) والتي كتبها باللغة العربية وذلك بعد سنة واحدة من مغادرته هولندا ، وإنما يبدو هذا جلياً من كتابه في النحو العربي والذي وضعه سنة (١٦١٣) أي بعد مضي أربع سنوات فقط على ابتدائه دراسة العربية . ويُعتبر هذا الإنجاز مفخرة في عصر لم تتوفر فيه قواميس جيدة وبالكاد كانت هناك كتب مطبوعة بالعربية . أما كتب النحو فلم تكن على قدر كبير من الدقة في شيء . وعلى حدّ علمنا فإنه لم يكن لأربينيوس إلا معلم مصري واحد يدعى أبو دقنوس وقد اكتشف أربينيوس بعد مضي وقت ، أن مُدرّسه هذا لا يجيد غير العامية وأنه لا يفقه من الفصحى شيئاً . ومع كل هذا فقد بقي كتاب أربينيوس في النحو من أهم وسائل دراسة اللغة العربية في أوروبا مدة طويلة (لوحة ٦) .



٦ ــ النحو العربي لتوماس فان أربين (الطبعة الأولى : ليدن ، ١٦١٣) وقد بقي طوال قرنين الكتاب الأكثر استعمالاً بين دارسي العربية في أوروبا . مكتبة ليدن الجامعية .

لم يشغل أربينيوس منصب أستاذ أول كرسي للعربية في الجامعة الهولندية إلا مدة أحد عشر عاماً تُوفي بعدها مبكراً متأثراً بمرض الطاعون وذلك سنة (١٦٢٤) . وبذلك انتهت حياته التي كانت تُبشر بالنجاح والعطاء . ويمكن القول أن حظ المستعربين الهولنديين كان كبيراً وذلك عندما خلفه شخص بالرغم من عدم كونه رائداً في الدراسات العربية من نفس درجة أُستاذه ، فإنه لم يقل عنه عبقرية وتعدد براعات . كان هذا الشخص هو خول (وباللاتينية خوليوس) والذي ذاعت شهرته بسبب قاموسه العربي ــ اللاتيني . هذا القاموس الذي لم يعتبر أساسياً في عصر خوليوس فقط ، وإنما استمر استعماله حتى في القرن التاسع عشر (اللوحتان ٩ ، ١٠) . وقد كلفت ادارة جامعة ليدن خوليوس جمع عدد من المخطوطات العربية من أجل مكتبتها . ولقد أسهم في البحث في الكتابات العربية في الرياضيات فقام بنشر بعضها ، كما وقام بترجمة بعضها الآخر . ولقد تم تعيين نفس خوليوس هذا أُستاذاً للرياضيات وذلك سنة (١٦٢٩) . ولم تكن هذه المزاوجة لتثير الدهشة في ذلك العصر كما يحدث في أيامنا هذه ، وذلك لأهمية الرياضيات العربية في القرن السابع عشر بينما كانت الرياضيات الأوروبية آخذة في التطور والنمو . ويبدو أن الدافع الأول لاهتمام خوليوس بالعربية هو استعمالها كوسيلة من أجل فهم ما كُتب بها في الرياضيات .

وهذا يقودنا إلى طرح سؤال حول البواعث الأخرى التي دفعت مستعربي القرن السابع عشر في هولندا وكذلك مدراء الجامعة الهولنديين إلى هذه الدرجة من الاهتمام بدراسة اللغة العربية . وقيل إن أحد هذه البواعث هو استعمال اللغة كوسيلة للتبشير المسيحي في العالم العربي ، ولكن بالرغم من اشارة أربينيوس في خطبته الافتتاحية التي ألقاها سنة (١٦١٣) منوّها بالحاجة الماسة إلى معرفة اللغة العربية من أجل هذا الهدف (أي التبشير) ، إلا أنه لم يقم بأي خطوة في هذا المجال ، الأمر الذي يدفعنا إلى الاستنتاج من أن هذا التنويه لم يكن أكثر من لفتة تجاه الأيديولوجية الرسمية التي كانت سائدة عندئذ . كما وأن الهولنديين لم يقوموا أبداً بالتبشير في العالم الناطق بالعربية . أما فيما يتعلق بأربينيوس فيبدو أن الهدف من نشر ترجمته العربية للعهد الجديد ليس لاستعماله في التبشير وإنما ليكون مادة قراءة ودراسة للطلاب . ولم يُبْدِ خوليوس خليفة أربينيوس أي اهتمام فعلي بالتبشير المسيحي : ولم تكن ترجمته العربية للتعاليم الشفوية للكنيسة الهولندية البروتستانتية والتي لم يتم طبعها بالعربية أبداً ـــ من أجل التبشير بين المسلمين وإنما كانت مُعدّة من أجل المسيحيين العرب في العالم العربي ، بل ومن الأرجح أنها كانت نوعاً من التنافس وإثبات الوجود بين هؤلاء المسيحيين مقابل النشاط الكاثوليكي المكثف .

كما ولم يكن السبب الأول في الاهتمام الذي أبداه المستعربون الهولنديون باللغة العربية كونها لغة التجارة والدبلوماسية وذلك بالرغم من أن أربينيوس كان يقوم بترجمات رسمية للبرلمان الهولندي تماماً كخوليوس ، وكذلك بالرغم من اشارة أربينيوس في خطبته الافتتاحية المذكورة إلى أهمية اللغة العربية كلغة التجارة في منطقة البحر المتوسط . إضافة إلى أن خوليوس كان السكرتير الأول في القنصلية الهولندية في حلب كما وأنه اشترك في بعثة دبلوماسية إلى المغرب وذلك سنة (١٦٢٣ ـــ ١٦٢٤) ، ومع كل هذا فلم تظهر أية اشارة في حياتهم العملية وفي أعمالهم تدل على أن هذه كانت باعثاً مهماً لدراستهم للعربية .

إن شخصيات مثل سكاليخر الذي حث أربينيوس على دراسة العربية ، وكذلك كازوبونوس الذي دعم أربينيوس ليصبح أول أُستاذ كرسي الدراسات العربية منذ بداية سنة (١٦١٣) ، لم يكن اهتمامهما بالتبشير كما لم يكن بالفائدة العملية للغة العربية وإنما كان اهتمامهما الأول ذا دوافع علمية . وكل الدلائل تشير إلى هذا الأمر . فلم يرد في خطبة أربينيوس الافتتاحية سنة (١٦١٣) إلا كل حمد للحضارة العربية والأدب العربي ، للتاريخ والفلسفة . وكما اهتم خوليوس بالمؤرخين العرب كذلك اهتم بالرياضيات العربية لذاتها ولمضمونها ، وليس كما هو عليه الحال في أيامنا هذه حيث نرى في الرياضيات العربية مرحلة مهمة في تاريخ العلوم فقط . وعلينا أن نأخذ في الحسبان أن نهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر قد شهدت بداية ازدهار العلوم في أوروبا فرأى العلماء في أوروبا أنه بإمكانهم التعلم من الكتابات العربية في الرياضيات وفي علم الفلك غير ناسين الطب . وحقاً ، لم يُظهر مستشرقو القرن السابع عشر فهماً عميقاً بالإسلام ولكنهم أبدوا إعجابهم بالحضارة العربية .

لقد كان حظ جامعة ليدن كبيراً بوجود مستعربَيْن بارزين ألا وهما أربينيوس وخوليوس ولقد استمرت هذه السعادة بسبب وجود فارنر الذي كان أحد طلاب خوليوس والذي عُين سنة (١٦٥٤) ممثلاً لهولندا في القسطنطينية . ولم يكن فارنر هذا دبلوماسياً فحسب وإنما عالماً أيضاً فقام بجمع العديد من المخطوطات النفيسة أثناء تواجده في القسطنطينية ثم أورثها مكتبة ليدن الجامعية . وهكذا حصلت الجامعة على العديد من المخطوطات ذات الأهمية الكبرى والتي باضافتها إلى المخطوطات التي اشتراها خوليوس لحساب الجامعة ، جعلت من مجموعة ليدن من أهم مجموعات العالم .

بعد موت خوليوس سنة (١٦٦٧) مرت سنوات عديدة قبل أن تتمكن جامعة ليدن من تعيين عالم لكرسي اللغة العربية يمكن مقارنة مستواه بمستوى كل من خوليوس وأربينيوس . وفي أثناء ذلك تم تعيين ريلاند (ريلاندوس باللاتينية) في اوتريخت وذلك سنة (١٧٠١) . وقد اشتهر ريلاند بكتابه « الديانة المحمّديّة » والذي صدر عام (١٧٠٥) . ويمكن اعتبار هذا الكتاب معلماً من معالم الاستشراق لأن ريلاند قام فيه بدحض العديد من الاتهامات ضد الإسلام والتي كانت سائدة في ذلك العصر ، منها سخف اتهام المسلمين بعبادة فينوس في مكة .

كانت هذه النزاهة العلمية أمراً نادراً في ذلك العصر ، إلا أنها كانت بداية موقف من الإسلام سوف يصبح عادياً فيما بعد ، أي في القرن الثامن عشر والذي كان بالإمكان تطويره إلى الإعجاب بالإسلام .

وأخيراً عاد إلى الدراسات العربية في ليدن بعض من بريقها القديم وذلك في القرن الثامن عشر على أثر تعيين ا. سخولتينس أستاذ كرسي اللغة العربية وذلك سنة (١٧٢٩) .

لقد كان اهتمام سخولتينس الرئيسي منصبّاً على استعمال اللغة العربية كوسيلة لشرح العهد القديم ، وكما رأينا فقد كان هذا موضوع اهتمام المستشرقين منذ البداية . وعلى الرغم من أن نظريات سخولتينس ما كانت لتصمد أمام الاختبار العسير لبحث اللغات المقارن العصري ، إلا أنها كانت في عصره مثيرة إلى حد ما . ففي خطبته الافتتاحية أصاب سخولتينس العديد من اللاهوتيين بصدمة عندما قال إنه ما كان علينا أن نعتبر اللغة العربية « ابنة » اللغة العبرية ، وانما علينا اعتبارها « كأخت توأم » لها . وبعبارة أخرى : إن لغة العهد القديم لم تكن أقدم لغة ، على كل حال لم تكن أقدم لغة سامية ، ويبدو أن في هذا الكثير من الجرأة في عصر سخولتينس ، حيث كان من الصعب على علماء القرن الثامن عشر الانعتاق من حيرة اللاهوت .

إلا أن هذا النوع من البحث لم يكن اهتمام سخولتينس الوحيد ، فمثل كثير من علماء القرن الثامن عشر ، قام بتخصيص الكثير من وقته للأدب العربي القديم وذلك يبدو من كتابه حول « مقامات الحريري » الذي كان الأكثر مقروءاً من كتب الأدب العربي القديم . أما الذي خصص معظم اهتمامه لهذا الأدب فكان خليفة سخولتينس ، إلا وهو هـ. ا. سخولتينس .

حقاً ، إن أسرة سخولتينس للفتة للنظر من حيث اهتمامها بالاستشراق . وسخولتينس الأخير هذا نشط قولاً وكتابة إلى الاعتراف بجمال الشعر العربي الخاص ، الذي يدفع إلى « التخيل النشط وبالنتيجة يؤدي إلى جرأة في الابتكار وقوة في التعبير » ذلك ما جاء في خطبة ألقاها في ندوة أدبية عقدت في أمستردام سنة (١٧٧٦) . وهذا هو الاكتشاف الأوروبي للشعر العربي والشرقي بشكل عام : فها هو المستشرق الإنجليزي ويليام جونس مثلاً قد أوحى إلى الشاعر الألماني الكبير جيته « بالديوان الشرقي ــ الغربي » وهي مجموعة من قصائد « شرقية » . وربما تبع الشاعر الهولندي بيلدارديك بتصريحه سنة (١٧٩٥) سخولتينس عندما قال : إنه بالرغم من كون الشعر العربي أدنى وغير تام إلا أنه لم يستطع أن يقف لا مبالياً بسبب « الحس الشديد الحرارة والتخيل » .

فعلى حد رأي بيلدارديك ــ الذي كانت له معرفة باللغة العربية ، فإنه بالرغم من أن الشعر العربي « أدنى » من اليوناني إلا أن فيه « إحساساً أكثر حرارة وتخيلاً » : ونرى هنا بوضوح تأثير الفكر الرومانتيكي في شعوره نحو الغريب والطريف .

ولكن علينا ألا نُغالي في تقدير كل من هـ. ا. سخولتينس وبيلدارديك للعرب لأن اتصال مستشرقي القرن الثامن عشر بالعالم العربي كان حتى أقل مما كان عليه الحال زمن أسلافهم أي في القرن السابع عشر . وعلى الأقل فإن خوليوس كان قد سافر عبر العالم العربي ، أما ما هو معروف حتى الأن عن السخولتينسيين

هو أن قدمهم لم تطأ أي بلد عربي أبداً . فبالرغم من اعجاب هـ. ا. سخولتينس بقوة مخيلة العرب وجرأتهم الابتكارية إلا أنه من المشكوك فيه أنه كان قد رأى عربياً في حياته .

إن هذا الإعجاب غير الواقعي بالرومانتيكية العربية تفسر إلى حد ما تلاشيها السريع في القرن التاسع عشر . كما وأنه من المحتمل أنه عندما تم استعمار الشرق ، فإن العقلية الاستعمارية قد أثرت في الشعور الرومانتيكي .

وبحق فإنه لم يكن لهولندا أي نفوذ مباشر في العالم العربي أبداً ، واقتصرت المحاولات الدبلوماسية الهولندية على تنشيط التجارة اللهم عدا محاولة عقد نوع من الحلف مع المغرب ضد إسبانيا . وفي هولندا أيضاً لم يدم التحمس الرومانتيكي للشرقيين إلا فترة قصيرة . أما مستشرقو القرن التاسع عشر فلقد شغلهم ما اعتبروه أكثر جدية فكان اهتمامهم بالعالم العربي من منظور علمي وليس لذاته كما كان الأمر في عصر خوليوس . ولكن اتجهت بحوثهم الآن إلى التاريخ وفقه اللغة ، ومنذ نهاية القرن بدأ الاهتمام أيضاً يتجه إلى الدين الإسلامي .

اجتمع لهولندا القرن التاسع عشر العديد من المستعربين الذين كانوا أهلاً للمكافآت ، ونذكر هنا ثلاثة منهم : دوزي ، ده خويا وسنوك هرخرونيه وكلهم شغل مناصب في جامعة ليدن . وهذا لا يعني أن الكثيرين ممن لم يرد ذكرهم سواء كانوا في ليدن أو في الجامعات الأخرى ومنها أوتريخت ، لم يكن لهم أي فضل أو دور ، فحسبنا أن نذكر هنا الأستاذ هوتسما من أوتريخت والذي كان أول محرر لدائرة المعارف الإسلامية ــ ولكن قلة هم الذين يستطيعون انكار هيمنة دوزي ، وده خويا وسنوك هرخرونيه في هذا المجال العلمي . وبحق فان سنوك هرخرونيه لم يعين أستاذ كرسي في ليدن قبل سنة (١٩٠٦) لكنه يعتبر وفي كثير من النواحي نموذجاً من القرن التاسع عشر إذ ظهرت الكثير من مؤلفاته في هذا العصر . ولقد نشط الأساتذة الثلاثة كل في حقله المختلف عن حقل الآخر ، ولكن الذي يظهر أيضاً أن الدراسات العربية في القرن التاسع عشر كانت قد تمت دون أي تخطيط علوي وبالإضافة إلى ذلك فإن دوزي نفسه لم يكن أستاذاً للعربية أو للغات الشرقية ، وإنما كلّف في سنة (١٨٥٠) بتدريس التاريخ العام فلقد كان مشغولاً بتاريخ إسبانيا المسلمة بصفة خاصة . ولا شك في أنه لم يكن لدوزي نظير في منهجيته العلمية كما وأنه من النادر أن تسير حياة عالم ما طبقاً للخطة كما سارت عليها حياة دوزي لقد الحق اطروحته عن تاريخ بني عباد (١٨٤٤) بعدة دراسات تاريخية مهمة بعضها بالتعاون مع علماء آخرين ، ثم اتبعها بكتابه الدائم التأثير : « أبحاث في تاريخ إسبانيا وآدابها خلال القرون الوسطى » (١٨٤٩ ــ ١٨٦٠) . ثم على هذا الأساس المتين ألّف أثره الخالد : « تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى فتح المرابطين للأندلس » (١٨٦١) ، وبعد مرور أكثر من ستين سنة على الطبعة الأولى ، أي سنة (١٩٣٢) أعيدت طباعته في ثلاثة أجزاء مع بعض التصويبات والإضافات لليفي بروفنسال . إلى جانب هذا فقد اشتغل دوزي بالمعاجم العربية فقد فاز عندما كان طالباً بمباراة أجرتها الأكاديمية الهولندية للعلوم عن كتابه : قاموس الملابس العربية والذي طبع سنة (١٨٤٦) كما واشتهر بشكل خاص بنشر ملاحظاته المعجمية وذلك تحت عنوان : ملحق القواميس العربية (١٨٧٧) في مجلدين ضخمين والذي ما زال عنصراً مساعداً في العصر الحاضر . وكان دوزي من وجهة النظر هذه عالماً نموذجياً من علماء القرن التاسع عشر يعمل بنظام وبدقة معتمداً على النصوص التي كثيراً ما كان يقوم بنشرها إذا رأى ضرورة ذلك . ومن ناحية أخرى لم يكن ــ ولحُسن الحظ ــ خالياً من الشعور الرومانتيكي تجاه العرب والذي كان سائداً في أوروبا القرن الثامن عشر ، فاعتقد مثلاً أن البدو كانوا



٧ — « فرقة الطبلة من مكة » طباعة على الحجر (٥ر٢١ × ٨ر٢٦ سم) من الملحق التصويري عند **مكة** لسنوك هرخرونيه ، (لاهاي ، ١٨٨٨) . حزام الرجل الذي في الوسط مرصّع بحافر حمار .

أول من طبّق شعار « الحرية ، العدالة والمساواة » وذلك قبل الثورة الفرنسية بمدة طويلة . وقد ساد التسامح نظرته إلى الإسلام فرأى في فتح المرابطين للأندلس انتصاراً للهمجية على ثقافة ملك متنور مثل المعتمد ، وهذا أمر نادر في القرن التاسع عشر .

إننا لم نعد نجد ذلك الارتباط الشخصي عند ده خويا ، الذي عُين أستاذاً خاصاً للغة العربية في جامعة ليدن سنة (١٨٦٦) . كان ده خويا عالماً متفوقاً في فقه اللغة بين المستعربين الهولنديين فاشتهر بسبب نشره العديد من النصوص . أما انجازه الأكثر تأثيراً فهو سلسلة النصوص الجغرافية المتتابعة والتي قام بنشرها فيما بين (١٨٧٠ و ١٨٩٤) وذلك تحت عنوان « المكتبة الجغرافية العربية » . لقد نشط ده خويا كذلك في مجال التعاون الدولي العلمي فمكن العلماء من جميع أنحاء العالم من اخراج أعمال علمية لم يكن في وسع شخص بمفرده النهوض بأعبائها ولا حتى ده خويا نفسه بالرغم من طاقة العمل الجبارة التي كان يتمتع بها . والحق فإن دوزي قد سبقه في تدويل الاستشراق وذلك عند قيامه بطبع « نفح الطيب » للمقري بالتعاون



٨ — « مكيّة في كسوة عروس » . صورة (٩٫٩ × ١٣٫٨ سم) من الملحق التصويري عند **مكة** لسنوك هرخرونيه ، (لاهاي ، ١٨٨٨) .

مع الزملاء الأجانب ، لكن ده خويا بلغ من الدقة والتنظيم في التعاون العلمي الدولي درجة كان من النادر أن يبلغ أحد مستواها وذلك بنشره تاريخ الطبري في خمسة عشر جزءاً دام نشره اثنين وعشرين عاماً وذلك بين سنة (١٨٧٩) وسنة (١٩٠١) .

وعلى الأرجح فإنه كان لنجاح نشر تاريخ الطبري الدور الأكبر في اقناع العديد من المستشرقين التعهد بنشر « دائرة المعارف الإسلامية » . ولم تكن هولندا صاحبة المبادرة ومع ذلك فقد عين الهولندي ام. تي. اتش هاوتسما «مديراً للمبادرة» وذلك سنة (١٨٩٩) . وفي سنة (١٩٠٨) تم نشر الجزء الأول أما الجزء الرابع والأخير منها فقد نشر سنة (١٩٣٦) .

لا يدين نجاح هذه النشرات الدولية إلى التنظيم فحسب — والذي كان الهولنديون يتكيفون فيه دولياً — وإنما إلى وجود دار النشر — بريل . فمنذ سنة (١٩٤٨) انتقلت هذه الدار إلى صاحبها الجديد الذي كان قادراً على تنفيذ الخطط الطويلة الأمد بصبر وشجاعة وكذلك كان بالإمكان في هذه المطبعة القيام

بالطباعة في معظم اللغات الشرقية . وإن دلت اعادة طباعة النشرات على شيء فانما تدل على أنها لم تزل مطلوبة . وأنه والحق يُقال يجب الثناء على بريل لنشره العمل الدولي الثالث واعني به « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » وهو مرجع لكتب الحديث الواسعة الصعبة . ولقد تم وضع خطة العمل سنة (١٩١٦) وبعد مرور (٥٣ عاماً) أي سنة (١٩٦٩) صدر الجزء الأخير من هذا العمل الجبار .

أما سنوك هرخرونيه الذي خلف ده خويا سنة (١٩٠٦) فقد كان مغايراً له بنفس الدرجة التي غاير فيها ده خويا ، دوزي . لم يكن سنوك عالماً في فقه اللغة وقد عيّن أستاذاً في ليدن بعد أن نال شهرة علمية واسعة وبعد أن قطع شوطاً في خدمة الحكومة الهولندية الاستعمارية في أندونيسيا ، في منصب مستشار للشؤون الداخلية . حصل سنوك على شهادة الدكتوراة سنة (١٨٨٠) بمقال عن الحج إلى مكة حيث امضى وقتاً قصيراً فيها ، ثم الحقه بكتاب « الآجيين » الذي نشر عام (١٨٩٣) . ولعل أهم أعماله هي مجموعة بحوثه في الشريعة الإسلامية والتي أثارت اهتمام زملائه المستشرقين عندما كان ينشرها . أما خليفته فنسنك الذي توفي سنة (١٩٣٩) فقد اشتهر على وجه الخصوص بأبحاثه في التصوف والعقيدة ومنها كتابه « العقيدة الإسلامية » سنة (١٩٣٢) . ثم تبعه كرامرز الذي توفي سنة (١٩٥١) والذي كان محاضراً في اللغتين الفارسية والتركية واشتهر بأبحاثه حول الجغرافيين العرب .

لقد سار كل واحد من هؤلاء على نهجه الخاص به إلا أن الوقت لم يحن بعد لتقييمهم العلمي ، على كل حال فإن المستعربين الهولنديين في عصرنا هذا يختلفون عن سابقيهم بأن جُل اهتمامهم ينصب على العصر الحديث وعلى العرب المعاصرين . ولقد أصبح من المستحيل أن نتصور مستعرباً هولندياً معاصراً لم يقابل عربياً واحداً وجهاً لوجه كما كان عليه الحال في القرن الثامن عشر .

من الجلي أن ازدهار الدراسات العربية في هولندا منذ القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين ، يمتاز بأنه متعدد الاهتمامات مختلف الاتجاهات ، يسير دون نظام دقيق ، فمن اهتمام باللغة إلى الثقافة فالدين ، ويتوقف هذا الاهتمام على ثقافة الدارسين وثقافة عصرهم .

وعندما يستطلع المرء القرون الماضية فإنه لا يسعه إلا الاستنتاج من أن هذا الاهتمام قد أدّى إلى فهم أفضل للآخرين ، أي للعرب .

مجموعات المخطوطات والمطبوعات العربية في هولندا

الأستاذ يان يوست فيتكام*

توقع علماء الحركة الإنسانية في مطلع القرن السادس عشر في أوروبا بأجمعها ، الكثير من دراسة العربية حيث وصل الإنسان في ذلك العصر وخلال جيل واحد إلى درجة كبيرة من التقدم في مجالي العلم والتقنية . ولم يخبْ الأمل في أن دراسة النصوص التي كان العرب قد قاموا بترجمتها منذ القرن التاسع مباشرة بالعربية ، قد حسّنت التوجه إلى التراث الثقافي اليوناني . وقد تضمنت هذه الترجمات العديد من الأعمال اللغوية والفلسفية والعلمية الكلاسيكية . فأصبحت الدراسة الآن مباشرة وليس عن طريق الترجمات اللاتينية التي كانت متوفرة منذ وقت قصير وحتى بشكل مطبوع . كذلك لم تخبْ التوقعات من أنه سوف توجد النصوص القديمة التي كان قد ضاع نصّها اليوناني الأصلي ولكن هذه النصوص اليونانية كانت معروفة لدى المترجمين العرب في بغداد سبعة قرون قبل ذلك العصر . كما وأنه كان من المعروف أن العرب قد أسهموا وبزخم في العديد من المجالات مضيفين بذلك على معرفة اليونانيين .

وفي مقدمة كتاب النحو العربي (باريس ، ١٥٣٨) والذي كتب باللاتينية يعبّر مؤلف هذا الكتاب غيلوم بُستل ، عن إيمانه واعترافه بأن الأوروبيين مدينون للعرب في هذا التقدم .

« ندين لهم ــ أعني للعرب ــ بعلم النجوم وبالتطبيق العملي للطب (...) ولديّ الشجاعة أن أقسم بأنه لا وجود لعالم أو متخصص بشكل عملي في عصرنا هذا ، إلا وأنه مشغول بالمؤلفات العربية وذلك بعد أن امتص النظرية نفسها من جالينوس وذلك بشكل ممتاز . وإلا فمن يجسر على عدم الاعتراف بأن القرون مشبعة بالتقدم ؟ (...) ولكننا ولحُسن حظنا ندين في كثير من الأمور التي نطبقها في هذا القرن للعرب وليس لجالينوس ؟ » . كما وأن بُستل كان قد تذمّر مِن أن الترجمات اللاتينية التي كانت سائدة في كل مكان قُبيل كتابته هذه بعشرين سنة فقط ، هذه الترجمات ، قد شُوّهت . وأضاف قائلاً : « وعلى أية حال فقد أصبحت لغته ــ أعني جالينوس ــ معروفة الآن ، وأنه (أعني جالينوس) أصبح بالإمكان الحصول عليه باللغة اللاتينية من قبل علماء اللاتينية ، ولكن معتمدة على ترجمات عربية نقية . وقد جعل كل واحد في هذه الفترة يتحمس لجالينوس ويقف في صفه (...) وإلا ، فماذا يكون رأيك عندما تعرف أن ما كان قد عالجه جالينوس بأسلوبه الباروكي ، وبالكاد في خمسة أو ستة كتب ضخمة ، كان قد عالجه ابن سينا ، على أكثر تقدير في صفحة أو صفحتين ؟ » .

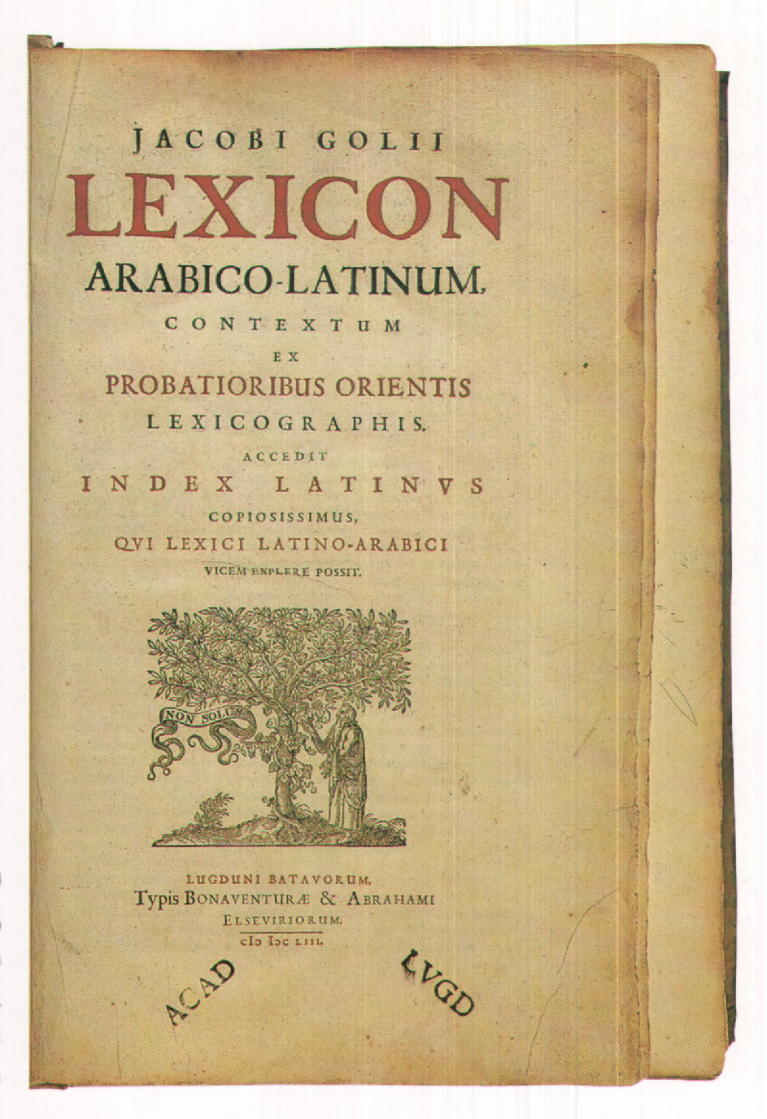
ولم يكن العالم في القرن السادس عشر جمهورية أدبية هادئة كما لم يكن كذلك في القرون السابقة ولن يكون في القرون اللاحقة ، حتى يكون حل النزاع على مستوى مجرد . وعندما يريد بُستل التركيز على التواجد الواسع للإسلام وبالتالي على أهمية اللغة العربية فإنه يريد بذلك التأكيد على أهمية كتابه في النحو ، ولهذا جاء تركيزه على أن الأوائل من الذين التقاهم ماخيلهاس في جزر الملوقيين بعد اجتيازه جنوب أمريكا في رحلته بالسفينة حول العالم ، كانوا من تابعي (تعاليم محمد) . وهكذا وفي جملة واحدة أوضح بأي شيء ووجه العالم المسيحي : إنه من المستحيل إهمال التواجد الإسلامي الهائل . وفي عصر بُستل كان الإسلام

* الأستاذ يان يوست فيتكام ، رئيس إدارة الكتب الشرقية في مكتبة ليدن الجامعية .

ما يزال ينتشر في عقر الدار . أي في أوروبا وكذلك على البُعد ، أي في أفريقيا وآسيا . فقُبيل فترة وجيزة وذلك سنة (١٦٨٣) قام الأتراك العثمانيون بتهديد فينا ، أي تقريباً بعد مضي ألف سنة على معركة بواتيه والتي تمّ فيها حسم تقدم العرب القادمين من إسبانيا . ولقد تحددت أفكار أوروبا عن العرب والمسلمين بشكل جزئي ، وذلك نتيجة ما حدث خلال ألف سنة . هذه الأحداث التي يمكن الاشارة إليها على أنها تحول في مسار التاريخ : استعادة شبه جزيرة ايبيريا من الموريين ، الحملات الصليبية ، والتهديد العثماني الذي بلغ أوجه بسقوط القسطنطينية .

وعلى الرغم من كل هذا فقد كان في أوروبا عنصر اعجاب وتقدير لما قدّمه العرب . ويتحدث العالم الفرنسي بُستل السابق ذكره عن الإنجازات في المجال العلمي . كما وكان هناك ادراك في القرون الوسطى الأوروبية لمدى السبق الذي أحرزه العرب في مجالي الطب والصيدلة ، الأمر الذي لا يدع مجالاً للإنكار . وحاز الأدب العربي في القرن السابع عشر على تقدير زائد كما للشعر كذلك للنثر . فها هو الأستاذ الليدني توماس أربينيوس (١٥٨٤ ــ ١٦٢٤) يقول في إحدى خطبه الأكاديمية : « نجد في كتاباتهم ــ أي العرب ــ من الأناقة وعمق الكشف الممزوجة بالمعرفة ، ومن العناية الانشائية وحلاوة الإنسجام والإيقاع ، ما يجعل كل من يقرأ كتبهم أو يسمعها يُصاب بسحرها » . ومن الواضح أنه من أجل دراسة جميع الأعمال كان من الواجب توفر نسخ منها في المكتبات . ولقد ذكر أربينيوس في خطبته وجود مجموعات ضخمة من الكتب لم يسمع بها في الشرق الأوسط مسمِّياً القسطنطينية وفاس . ولقد تميز القرن الأول من الاهتمام الهولندي بالعربية بثلاثة من المشاهير : ي. ي. سكاليخر (١٥٤٠ ــ ١٦٠٩) ، وتوماس أربينيوس الذي سبق ذكره ، وجاكوبوس خوليوس (١٥٩٦ ــ ١٦٦٧) . وقد قام كل منهم وعلى طريقته الخاصة باحضار الكتب العربية إلى هولندا (والمقصود في هذه الفترة هو المخطوطات العربية لأنّ فنّ طباعة الكتب لم يُعرف في الشرق الأوسط إلّا في أوائل القرن الثامن عشر فقط) . وقد وصلت كتب سكاليخر التي تضم ما يُقارب خمسين مخطوطة شرق ــ أوسطية ، بالإضافة إلى عدد أكبر من الكتب المطبوعة والتي لها علاقة بالعربية ، وصلت كلها مكتبة ليدن الجامعية . وقد احتوت على مواد عربية من بينها **المعجم اللاتيني ــ العربي** ، والذي عُرف عنه أنه وُضع في طليطلة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . واحتوت مجموعته على جزأين من القرآن مكتوبين على جلد الغزال ويرجع أصلهما إلى المغرب .

وكذلك تاريخ السامرة الذي وضع بالعربية ولكن بحروف سامرية . وبالإضافة إلى المخطوطات التي جمعها بنفسه فقد حوفظ على الملاحظات العلمية التي قام سكاليخر بتدوينها بنفسه . كما ووصل قاموسين قام سكاليخر بوضعهما بأكملهما بنفسه وبخط يده لأنه كان على علماء القرن السادس والسابع عشر أن يقوموا بتزويد أنفسهم بالوسائل والأدوات التي تساعدهم في أعمالهم العلمية . ولم تصبح هذه الحاجة أقل الحاحاً إلا بظهور كتاب القواعد لأربينيوس والذي سوف يُعاد طبعه على مدى قرنين من الزمان ، وكذلك بظهور قاموس خوليوس الذي قدم خدماته خلال ما يقارب القرن والنصف . وبصعوبة يمكن فهم هذه الحالة التي كانت سائدة قبل القرن العشرين والذي تتوفر فيه أمام دارس العربية بالإضافة إلى قاموس فير وبيلو ، العديد من كتب النحو والكتب الدراسية . ولقد أورث أربينيوس كذلك مجموعة مخطوطات لمؤلفين عرب ، ولكن أرملته فضّلت الجهة الإنجليزية المعنيّة بالرغم من الخيار الذي وضعته أمامها مكتبة ليدن . وفي نهاية الأمر وصل القسم الأكبر من هذه المخطوطات سالمة إلى مكتبة كامبريدج الجامعية . لقد جمع خوليوس ما يُقارب السبعمائة كتاب منسوخة باليد لمؤلفين من العرب والفرس والترك . وقبل أن يباشر أستاذيته كانت ادارة جامعة ليدن



٩ ــ عنوان صفحة من **المعجم العربي ــ اللاتيني** لِخول (ليدن ، ١٦٥٣) . حل هذا العمل محل جميع القواميس التي سبقته وبقي مستعملاً حتى القرن التاسع عشر . مكتبة ليدن الجامعية .

قد سمحت له بالسفر ولمدة طويلة إلى كل من حلب والقسطنطينية حيث قام بشراء معظم مخطوطاته . أما ما لم يستطع شراءه فقد طلب نسخه بأكمله وذلك كما هو متعارف عليه محليّاً . وبما أن شراء الكتب كان يتمّ من أموال الجامعة فإن ما يُقارب ثلث مجموعته كان قد وضعه في مكتبة ليدن خلال حياته أما الباقي فقد بيع بالمزاد العلني بعد وفاته . وقد انتهى المطاف بالقسم الأكبر من مجموعته إلى مكتبة بُدليان في أوكسفورد حيث لم يزل بالإمكان دراسة مخطوطاته . ولم يتبق في هولندا غير القليل الذي وصل أخيراً إلى مكتبة ليدن . أما المجموعة المتبقية في ليدن فتحتوي من بين ما تحتويه على دائرة المعارف العربية ــ **نهاية الأرب** والذي وضعها مؤلف القرن الرابع عشر ، النويري والتي بعض أجزائها بخط يد المؤلف . كما وتضم مجموعة



١٠ ــ عنوان من صفحة من الجزء الأول (مجموعة من جزئين) من **الصّحاح في اللغة** للجوهري . وقد تم استنساخه في دمشق عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) . كانت هذه النسخة ملكاً لِخولِ وكانت المصدر الأكثر تكراراً في معجمه الذي نشره سنة (١٦٥٣) . مجموعة خوليوس ، مكتبة ليدن الجامعية .

خوليوس نسخة من كتاب ابن الجزري المشهور في الحيل الهندسية . وتمثل مجموعته الخاصة والمحفوظة في أوكسفورد الآن ، اللبنة الأولى لنوع من دائرة المعارف الإسلامية أو كما أطلق عليها خوليوس اسم « قرن الشرق الغزير » .

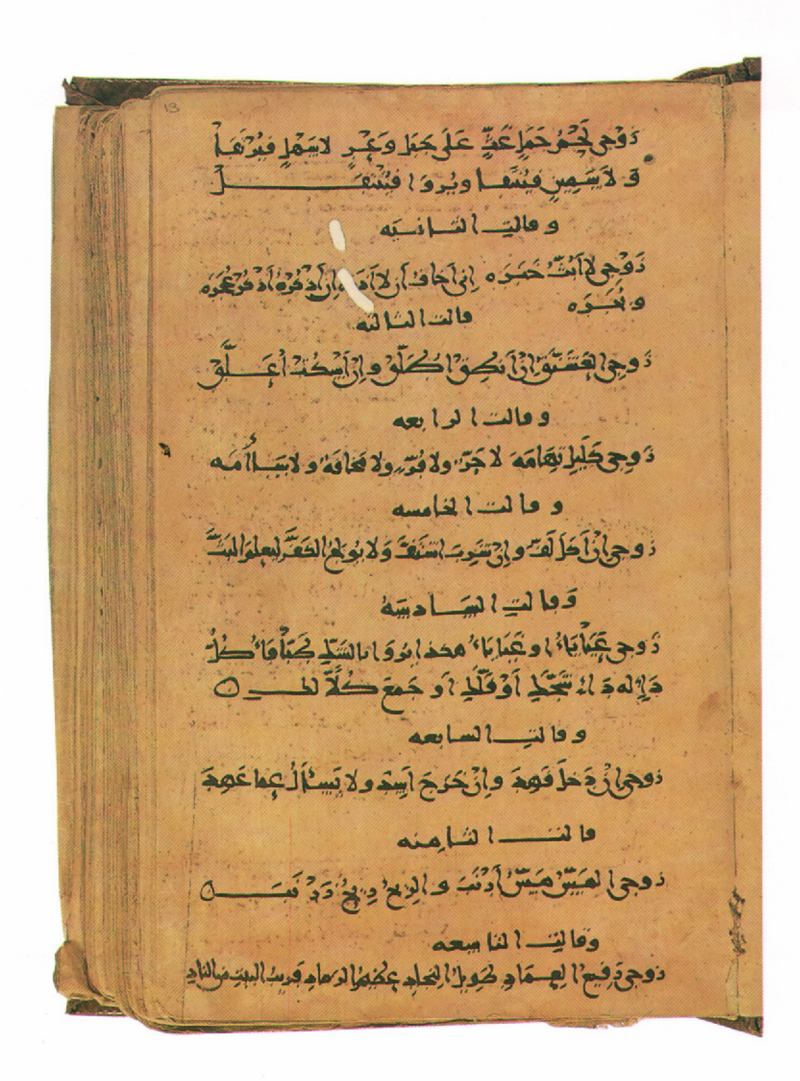
وبالإضافة إلى منصب خوليوس كأستاذ الدراسات العربية فقد شغل أيضاً منصب أستاذ الرياضيات . وكانت اهتماماته أوسع بكثير . ففي أوكسفورد ما زال هناك قاموس تركي ــ لاتيني بخط يده ، لم يُنشر بعد . كما وظهر بعد وفاته بسنوات قاموس فارسي ــ لاتيني . وفي أواخر أيامه أبدى اهتمامه باللغة الصينية . وتضم مجموعة مخطوطاته الخاصة ، نسخة عربية لكتاب المخروطات لمؤلفه أبولونيوس من برجا ، وكان هدف خوليوس هو اعادة تنظيم الفصول المفقودة في النسخة الإغريقية مستعيناً بالنسخة العربية . وفي نهاية الأمر ، لم يتمخض هذا المشروع عن شيء . كما واشترى خوليوس مخطوطة جميلة من القاموس العربي للجوهري ، والذي استعمل نصه بالإضافة إلى نصوص أخرى من أجل **قاموسه اللاتيني ــ العربي** والذي نشره عام (١٦٥٣) (اللوحتان ٩ و ١٠) والذي حلّ محله **قاموس** فرايتاخ ليس قبل العام (١٨٣٠) .



١١ — عنوان صفحة من المخطوطة النادرة **طوق الحمامة** لابن حزم وهي رسالة من المورة وتدور حول الحب والعشاق ويعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر . وترجع جميع النسخ المطبوعة في الأدب العربي من هذا العمل العظيم ، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى هذه المخطوطة التي كان ليفيوس فارنر قد اشتراها من اسطنبول حوالي (١٦٦٠) . مكتبة ليدن الجامعية .

ورغم أهمية هذه المخطوطات إلا أنه لا يمكن مقارنتها بالمجموعة التي اقتنتها جامعة ليدن سنة (١٦٦٥) . إنها مجموعة تحتوي على أكثر من ألف مخطوطة بالإضافة إلى العديد من المطبوعات التي قام بجمعها في القسطنطينية السفير الهولندي ليفينوس فارنر (١٦١٩ — ١٦٦٥) والذي كانت حاسّة شمّه للكتب النادرة متفتحة . وعند مقارنتنا للعدد ألف والذي نراه كثيراً ، بما كان موجوداً من الكتب في مدينة القسطنطينية والتي كانت تنقل إليها أثناء فترة السلاطين العثمانيين كامل مكتبات المناطق التي تمّ اخضاعها فاتسعت مكتبتها العامة والخاصة ، يتبين لنا كم هو قليل هذا العدد خاصة إذا علمنا أن فارنر قد جمع مثل هذا العدد خلال عشر سنوات . ويمكننا أن نفترض أن مقدرته وخبرته ناتجتان عن هذا التحديد .

إن مجموعة فارنر هي نواة مجموعة ليدن الشرقية وأساس شهرتها وذلك لاحتوائها على كتب ما زالت فريدة حتى يومنا هذا ، أي عدم توفر نسخة ثانية منها وذلك خلال القرون الثلاثة الماضية .



١٢ ــ صفحة من كتاب **غريب الحديث** لأبي عبيد القاسم بن سلاّم . ويعود تاريخ هذه المخطوطة إلى سنة (٨٦٦) وهناك احتمال بأنها قد عملت في بغداد . وتعتبر حتى الآن أقدم مخطوطة ورقيّة شرق ــ أوسطية مؤرخة . مجموعة فارنر . مكتبة ليدن الجامعية .

واحد من قمة كتب الأدب العربي هو **طوق الحمامة** ، رسالة في الأُلفة والالاَّف للأديب والعالم الأندلسي ابن حزم (من أعيان القرن الحادي عشر) والذي أصبح الآن مشهوراً بفضل شراء فارنر لكتابه . وتعود جميع الطبعات والتي يبلغ عددها الآن العشرة ، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى هذه المخطوطة الوحيدة (لوحة ١١) . كان فارنر تلميذاً لخوليوس لذلك انعكست اهتمامات خوليوس الرياضية في ما اشتراه فارنر . فالمخطوطة الوحيدة المعروفة من الترجمة العربية **لكتاب الأصول** لمؤلفه اقليدس والتي قام ابن مطر بترجمتها ، كان فارنر قد قام بشرائها . ويمكننا كذلك اضافة المخطوطة الأنيقة والقديمة جداً والمزينة بالرسوم التوضيحية من الترجمة العربية **لكتاب الحشائش** لديوسقوريدس وكذلك مخطوطة ثانية من كتاب **الحيل الهندسية** لابن الجزري . وواحد من قمة مجموعة فارنر هو مخطوطة **كتاب غريب الحديث** لابن عبيد والتي كتبت على ورق والمؤرخة ب (٨٦٦) ميلادية والتي ما زالت تقاوم عوامل الزمن والتي يرجّح أن يكون مصدرها بغداد وأن تكون أقدم مخطوطات الشرق الأوسط الورقيّة المؤرخة (لوحة ١٢) .

وقد قامت مكتبة جامعة ليدن بوصف كنوزها الشرقية في بعض فهارسها المطبوعة في القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، مما أدّى إلى شهرتها عالمياً ، فاحتوى فهرس عام ١٧١٦ على جميع ما كانت



١٣ — عنوان صفحة من **شوارد الأمثال** . وهي مجموعة من الأمثال المجهولة المؤلف ، من المكتبة الخاصة بصلاح الدين الأيوبي (١١٣٧ — ١١٩٣) . مجموعة فارنر ، مكتبة ليدن الجامعية .

تملكه المكتبة في ذلك الوقت بما فيه أوصاف جميع المواد الشرقية التي كانت موجودة في ليدن آنذاك . كان الهولنديون الشماليون جمهورية أدارها رجال التجارة والدين ولم يكن هناك ملك ذو عظمة وذلك على الرغم من وجود تجّار امستردامين كانوا أغنى من بعض أمراء أوروبا . إن انعدام وجود شخصية ملكية ارستقراطية كانت السبب في أن يكون طابع المجموعة الهولندية منذ القرن السابع عشر مختلفاً عما كانت عليه مثلاً المجموعات في باريس أو اوكسفورد وكامبريدج وأن تتّسم كذلك بسمة الرصانة والرزانة . لذا فإننا لا نجد ، لا في مجموعة خوليوس ولا في مجموعة فارنر مخطوطات للقرآن والتي تصلح كأحسن مثال على فن زخرفة الكتب وحُسن الخط كما وافتقرت مجموعات علماء القرن السابع عشر إلى نصوص كانت صالحة جداً لتجارة الكتب النادرة الجميلة مثل كتاب **دلائل الخيرات** للجزولي . كما وأنه لاحقاً تمّ تجميع المخطوطات ليس بسبب أهميتها الأدبية والعلمية وإنما بسبب من قيمتها المتحفية وتاريخها الفني ، والتي نادراً ما كانت تصل هولندا مثل هذه ، وإن حدث ووصلت فإن هذا يكون محض صدفة .

ومقارنة بميراث فارنر فإنه لم تصل هولندا لا في القرن الثامن عشر ولا في النصف الأول من القرن التاسع عشر مجموعة قيّمة وذلك بالرغم من عدم افتقار الجامعات الهولندية إلى مشاهير مثل: ريلاند في اوتريخت،

السخولتينسيون الثلاثة ، هماكر ، فايرس ، اليانابلة الثلاثة ، ودوزي . ولكن ارتبطت اسماء هؤلاء بنشر النصوص والقواميس وفهارس المخطوطات التي ما زال يُعاد طبعها حتى يومنا هذا . ولم يقوموا بالكثير من الاتصالات المباشرة مع الشرق الأوسط ، كما ولم يبدأ التزود بالكتب والمخطوطات بالشكل الذي كان عليه في القرن السابع عشر إلا بعد مرور عصرهم . وقد حاول الأستاذ هماكر الليدني إيجاد قنوات تزويد من الشرق الأوسط ، إلّا أن مزوّديه في القسطنطينية لم يصلوا إلى نتائج مُرضية ، بينما طلب هو في تونس استنساخ كتاب التاريخ العظيم ــ **كتاب العبر** لابن خلدون (من أعيان القرن الرابع والخامس عشر) وذلك لقاء مبلغ ضخم . وبالرغم من أنه منذ ميراث فارنر فإنه لم يتم احضار مجموعة كبيرة دفعة واحدة وانما بعد ذلك بقرنين ، فقد وصلت مكتبة ليدن الجامعية كميات كبيرة من المخطوطات العربية والشرق ــ الأوسطية وذلك بشكل تدريجي . وفي (١٨٨٣) فقط وصلت إلى المكتبة مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية وذلك دفعة واحدة . فقد اشترت الجامعة وبوساطة شركة بريل مجموعة مخطوطات العلّامة وتاجر الكتب العربي أمين المدني . وبذلك انتهى المطاف في جامعة ليدن بحوالي ستمائة وخمس وستين مخطوطة من بينها عدد كبير نسبياً بخط يد المؤلف . وفي (١٩٣٦) تسلمت المكتبة ميراث سنوك هرخرونيه والذي يضم المئات العديدة من المخطوطات العربية والتي مصدر معظمها أندونيسيا . وبهذا أصبحت ليدن مؤسسة تجذب العلماء والزائرين المهتمين ، القريب منهم والبعيد وذلك من أجل مشاهدة الكنوز العربية .

وقد كانت مخطوطات مجموعة ليدن مصدراً للنصوص التي قام مستعربو القرن التاسع عشر بطباعتها . كما توفرت انذاك امكانية استعارة المخطوطات لمن لم يستطع المجيء إلى ليدن سبيلاً ، ويحدث ذلك الآن بسبب توفر الميكروفلم . وليس أدل على الشهرة التي وصلت إليها هذه المجموعة ، من أن البعثة المصرية والتي ترأسها عبد الله فكري باشا (١٨٣٤ ــ ١٨٨٩) والتي جاءت للاشتراك في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في ستوكهولم وكريستيانيا (اوسلو) وأثناء تجولها في باريس والسويد قد عرجت على ليدن بتاريخ ٢٥ أغسطس عام ١٨٨٩ فكانت أول رغبات أعضائها مشاهدة مكتبة ليدن .

وفي القرن التاسع عشر ابتدأ ر. ب. ا. دوزي (١٨٢٠ ــ ١٨٨٣) بنشر فهرس جديد والذي كان يهدف أصلاً إلى فهرسة جميع المخطوطات الشرقية ، ولكنه في الحقيقة بقي مقتصراً على المخطوطات الشرق ــ أوسطية . أما المخطوطات الأندونيسية والتي تشكل مركز ثقل آخر في مجموعة الاستشراق الليدنية فقد تمّ وصفها لاحقاً في فهارس منفردة .

وقد تابع ده خويه (١٨٣٦ ــ ١٩٠٩) عمل معلمه دوزي وكذلك فعل م. ث. هاوتسما (توفي ١٩٤٣) . فبدأ ده خويه بتنقيح فهرس المجموعة العربية فقط ولكن هذا المشروع بقي دون اكمال . وكانت وما تزال فهارس ده خويه ودوزي والتي كتبت باللاتينية من أكثر المصادر المزودة بالمعلومات حول المجموعة القديمة . ولم يستمر القيّمون على هذه المجموعة من أمثال خ. فان فلوتن (١٨٦٦ ــ ١٩٠٢) و س . فان أريندونك (١٨٨١ ــ ١٩٤٦) بنشر هذا الفهرس . وبفضل ب . فورهوفه الذي ولد عام (١٨٩٩) والذي شغل بشكل متقطع منصب أمين المخطوطات الشرقية منذ (١٩٤٦) وحتى (١٩٥٩) ، تمّ إيضاح المجموعة العربية بشكل مختصر ولكن قابل للاستعمال . وفي عام (١٩٥٧) أعدّ ونشر لائحة المخطوطات العربية والتي أعيدت طباعتها فوتوغرافياً سنة (١٩٨٠) . وقد تمّ اكمال الفهارس اللاتينية في المراجع البيبليوغرافية في أعمال كلّ من بروكلمان وسزكين ، ولكن على نطاق أقل اتّساعاً من عمل فان خراف وذلك لأن المواد المسيحية ــ العربية في جامعة ليدن كانت دائماً متوفرة ولكن بشكل مقتصر . إن الاستعمال السنوي والمتزايدلمجموعات المخطوطات العربية ما كان ممكناً لولا **لائحة** فورهوفه .

ومنذ (١٩٨٢) فإن مكتبة ليدن تقوم سنوياً بنشر فهرس بما لديها من المجموعات العربية . وهناك تزايد مستمر ولكن بشكل متواضع . والآن تحتوي مجموعة ليدن الشرق ــ أوسطية على ما يقارب الخمسة آلاف كتاب . والتي بضمنها أكثر من أربعة آلاف مخطوطة عربية . وقد اضافت مكتبة ليدن إلى مجموعتها ما يقرب الألف وثلاث مئة مخطوطة عربية وذلك منذ نشر فورهوفه **لائحته** سنة (١٩٥٧) . ومن بين المجموعات الأصغر والتي انتهى بها المطاف إلى ليدن خلال العقود الماضية علينا ألاّ ننسى المجموعات الخاصة لكل من رينيه باسيت وفرانز تيشنر .

وهناك مجموعة ليدن من المطبوعات الشرقية والتي هي أقل إثارة ولكن من أجل دراسة المخطوطات لا يمكن الاستغناء عنها . ولكن ليس بالإمكان دراسة المخطوطات دون وجود مجموعة موسعة متخصصة من النصوص المطبوعة . وقد حاولت مكتبة ليدن وبقدر الإمكان ، المحافظة على مستوى مجموعاتها المطبوعة وذلك عبر أربع قرون تواجدها . فالكتب والدراسات الأدبية القديمة المطبوعة ما زالت متوفرة وبشكل كامل وكذلك الحال بالنسبة لكتاب « وصف مصر » مثلاً والمتوفر حتّى بطبعتين . أما في مجال تقارير الرحالة في الشرق الأوسط فإن مجموعة المكتبة منها ، أقل جودة . ويعود ذلك إلى أن الأساتذة كانوا قد أولوا جلّ اهتمامهم للنصوص العلمية . ومع هذا فإن الكتب الكلاسيكية مثل رحلات رحّالة القرن السابع عشر كورنيليس ده براون (اللوحات ١٤ ، ٢٦ ، ٢٧) والغنية بالرسوم التوضيحية وكذلك تقرير كارستن نيبور ، رحالة وعلامة القرن الثامن عشر متوفرة في هذه المجموعة . أن تزايد المنشورات وخصوصاً في الدول الأوروبية إلى جانب تردّي الوضع الاقتصادي في أوروبا قد جعلا استمرار التزود بالكتب خلال السنوات الأخيرة من الأمور الصعبة . وبالرغم من كل هذا فقد حاولت المكتبة أن تأخذ على عاتقها مسئولية التزويد على مستوى البلاد في مجالات اللغة ، الآداب ، التاريخ ، الجغرافيا وتاريخ الأديان في الشرق الأوسط .

إن كلمة واحدة عن الأعداد النسبية المطلقة هي هنا في موضعها . فإذا أردنا أن نتحدث عن المخطوطات والكتب العربية في هولندا ، فلابد أن تأخذ ليدن مكان الصدارة في هذا الأمر . وبالرغم من ذلك فإن بعض المكتبات والمؤسسات في الجامعات الهولندية الأخرى تمتلك مخطوطات شرق ــ أوسطية . والأمر يتعلق هنا بما يقارب (١٠٪) من المجموع العام للمواد المتواجدة في هولندا . وأحد هذه المجموعات الهولندية التي تضم كنوزاً من المخطوطات حول الشرق الأوسط وغير الموجودة على شكل كتاب والتي علينا ألّا نتركها دون أن نأتي على ذكرها ، هي أرشيف الدولة العام في لاهاي . فهناك حفظت المراسلات العديدة واراشيف الدبلوماسيين الهولنديين والمراكز التجارية في الخارج . فقد كان للأماكن المتواجدة على سواحل البحر المتوسط أهمية كبيرة بالنسبة لشركة الهند الشرقية وذلك في القرنين السابع والثامن عشر وذلك بسبب تجارتها مع المشرق وبسبب الطرق التجارية عبر المحيط الهندي والخليج . ويحتوي هذا الأرشيف على كميات هائلة محافظ عليها من رسائل عقود واتفاقيات ومعاهدات بالعربية . ولا يمكننا أن نعتبر البدء في كشف مضامين هذه المواد قد بدأ بشكل فعلي . في فهرس دوزي وده خويه جاء وصف للمجموعات غير الليدنية عدا المجموعات الموجودة في أرشيف الدولة العام . إن التزايد المستمر لمجموعة المخطوطات الشرق ــ الأوسطية وما يتبع ذلك من الحاجة إلى كتب توضيحية ، لم يجد صداه حتى الآن إلّا في ليدن .

لقد قدر قبل بضعة أعوام المجموع العام للمخطوطات العربية الموزعة في جميع أنحاء العالم بثلاثة ملايين مخطوطة . ومعظم هذه المخطوطات محفوظ في المكتبات العلمية الكبيرة . ويبدو من الكشف السريع والمتزايد



١٤ ــ « حلب » . حفر على النحاس (١٠٥ × ٦١ سم) . من رحلات كورنيليس ده براون ، عبر أشهر أجزاء آسيا الصغرى وجزر سكيو ، رودس ، قبرص ، ميتيلينو ، ستانكيو ... إلخ . كذلك المدن المهمة في كل من مصر ، سوريا وفلسطين . (دلفت ، ١٦٩٨) . مكتبة ليدن الجامعية .

عن الميراث من أن العدد في ازدياد . ومن الممكن أن تشكل مجموعة ليدن ما نسبته (١٪) مما هو موجود في جميع أنحاء العالم . ولكن وعلى امتداد السنين فقد تم انتقاؤها بحيث تتعدى أهميتها نسبة الـ (١٪) هذه . ولقد وصفت مجموعة ليدن بشكل لائق في عدة فهارس وذلك خلال عدد من القرون . وهذا مما يغير الصورة ويجعل هذه المجموعة تحتل مركز الصدارة في تاريخ الآداب أكثر مما يمكن توقعه على أُسس احصائية .

ويمكننا أن نتوقع الكثير من الاكتشافات الجديدة في مجال المخطوطات وذلك في مكتبات الشرق الأوسط غير المبوبة والمفهرسة بشكل جيد . كما وأننا يجب أن لا نقلل من أهمية ما اكتشف وما زال يكتشف في المجموعات الأوروبية القديمة .

إن مراكز القوى السياسية التقليدية مثل القسطنطينية والقاهرة وطهران ، ما زالت تحتوي مكتباتها العامة كالخاصة على كميات هائلة من المخطوطات غير المعروفة في عالم المثقفين . ولقد بدأت المراكز السياسية الجديدة في الكويت والرياض ببطء ولكن بثقة بانشاء مكتبات متخصصة بالمخطوطات . وكذلك الأمر



بالنسبة للمناطق البعيدة جغرافياً عن مركز العالم العربي والإسلامي مثل المغرب واليمن والهند والتي ما زالت تحتوي حتى أيامنا هذه على كميات هائلة من مجموعات المخطوطات التي لم تبحث بعد . ويمكن للمكتبات الصغيرة والموزعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط أن تزودنا بالمفاجآت .

ويلاحظ في السنوات الأخيرة اهتمام الدول العربية المتزايد في المحافظة على هذه المجموعات ودراستها . فقد أقيم في الكويت معهد للمخطوطات العربية تحت اشراف جامعة الدول العربية وتنسيقها وارشادها مع توفير قاعة للمطالعة ومركز للاستعلامات وامكانية لنشر مجلة ونشرة اخبارية . وقد قام المركز بإرسال عدد من البعثات وذلك على مدى سنوات إلى المكتبات التي من الصعب دخولها وذلك من أجل عمل ميكرو أفلام . وبهذا أُنشيء واحد من أهم مراكز مجموعات المخطوطات الميكروفيلمية .

وفي مجال هذه النشاطات وانطلاقاً من فكرة كون هذا الميراث من الأهمية بمكان للإنسانية جمعاء . فإن مكتبة ليدن الجامعية قد لعبت دورها المتواضع والذي تريد أن تبقى محتفظة به .

بين الخليج والبحر الأحمر :
الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية

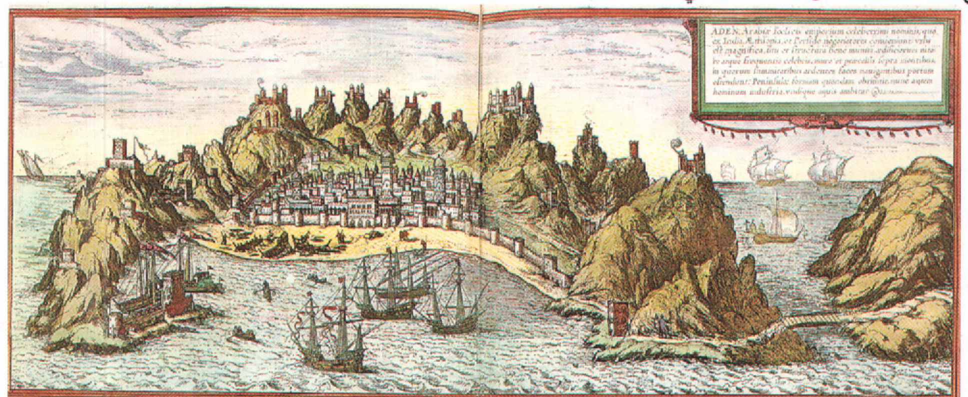
الدكتور بن ي. سلوت *

(أ) مقـــدمة :

من الأرجح أنَّ أقدم ما تمَّ ذكره عن العلاقات بين هولندا وشبه الجزيرة العربية ، هو ملخَّص ملاحظات مجلس الأمة عام (١٦٠٣) ، وذلك حول فض النزاع بين شركة الهند الشرقية المتحدة وتجار مكة . بُعيد ذلك بقليل ، بدأت العلاقات التجارية مع شركة الهند الشرقية الهولندية والتي كانت تملك ولمدى طويل مراكز تجارية في الخليج وعلى البحر الأحمر . وعلى الرغم من أن الشركة كانت في المرتبة الأولى ، شركة مقاولات تجارية ، إلا أنها من الناحية الفعلية كانت دولة كبيرة شبه مستقلة في آسيا ، إلى درجة أنها كانت تنشيء علاقات سياسية وأحياناً تعقد أحلافاً عسكرية . وفيما بعد ، وعندما تحولت المقاولة التجارية حوالي سنة (١٨٠٠) إلى حكومة استعمارية في أندونيسيا ، برزت دوافع أخرى بدأت تلعب دورها وذلك إلى جانب محاولات إعادة العلاقات التجارية : إنه الاهتمام الذي أبدته الحكومة الهولندية في التأثير على مسلمي الهند الهولندية عبر شبه الجزيرة العربية .

(ب) البحـــر الأحمـــر :

يعود تاريخ أول بعثات الهولنديين لتقصِّي الاحتمالات التجارية في جنوب شبه الجزيرة العربية إلى سنة (١٦١٤) . فقد تمَّ إرسال بيتر فان دن بروكه ، وهو واحد من أهم رجالات الشركة في آسيا ، مع عدد قليل من السفن للاطلاع على الأوضاع في كل من شمال غرب الهند وجنوب شبه الجزيرة العربية . ولقد مُنع من القيام بأي نشاط تجاري في كل من عدن والمُخا ، ذلك لأن تلك المنطقة كانت ما تزال تحت سيطرة السلطات التركية التي لم تكن ترغب في السماح بدخول الهولنديين . أما في شحر والتي تقع إلى الشرق من المُخا والتي كانت في ذلك الوقت مملكة مستقلة ، فقد حصل الهولنديون على إذن



١٥ — ((عدن)) من أطلس براون هوخينبرخ ، (كولونيا أغريبينا ، ١٥٧٢) ، الجزء الأول ، ٥٣ . أرشيف الدولة العام في لاهاي .

---

* الدكتور بن ي. سلوت ، أستاذ الخرائط في القسم الأول من أرشيف الدولة العام في لاهاي .

بالتمركز هناك . ولقد أوْلَتْ الإدارة المحلية الأمر أهمية بالغة : فمن الجلِيّ أنها كانت تطمح في جعل شحر مركزاً تجارياً دولياً . ولكن المؤسف أن الهولنديين لم يجدوا ما يجذبهم إلى موقع شحر فقد كانت صغيرة لدرجة أنه كان من الصعب تحقيق ربح يُذكر . بعد مضي عشر سنوات تحسَّن وضع الهولنديين في اليمن ، فتمَّ طرد الحاكم العثماني من صنعاء ونالت البلاد استقلالها . ومجدَّداً تمَّ إرسال بعثة إلى اليمن أعقبتها زيارة رسمية إلى صنعاء ، والتي على أثرها حصل الهولنديون على إذن رسمي بفتح مركز تجاري في المُخا .

استمرت محاولات الهولنديين ولمدة طويلة من أجل الوصول إلى حالة من التبادل التجاري المنتظم مع جنوب شبه الجزيرة العربي ، ولكن دون نجاح يذكر . فحاول الهولنديون في المرحلة الأولى تصدير المُنتجات الآسيوية المختلفة إلى اليمن ، ولكنهم جوبهوا بمنافسة مسلمي غرب الهند . وبين الفترة والأخرى ، تابع الهولنديون محاولاتهم تارة عبر مبادرات شخصية وتارة أخرى تلبية لدعوة إمام اليمن . كل ذلك إلى جانب تجارة القهوة المتضعضعة . فقبل أن يعرف الأوروبيون طعم القهوة ، كان الهولنديون يقومون بشرائها ثم بيعها في الدول الآسيوية . ولقد استمر تقهقر هذا النوع من التجارة .

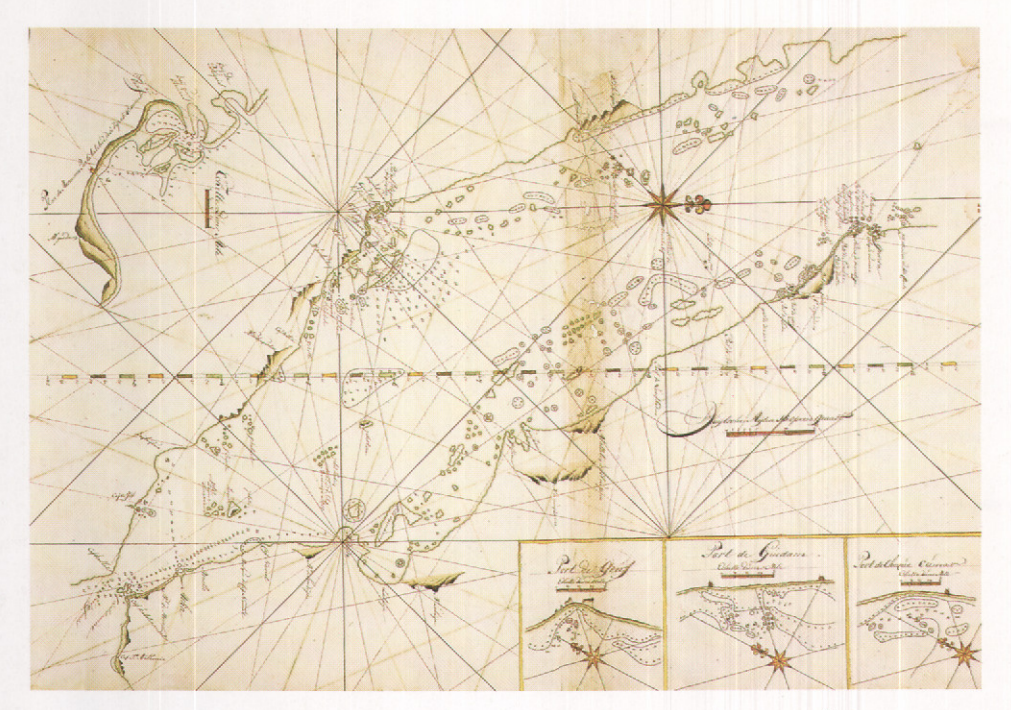
ومن المرجَّح أن منافسي الهولنديين من الهند ، قد لعبوا دوراً في تحسين العلاقات التجارية الهولندية ـــ اليمنية دون قصد منهم . فالحروب التي دامت طويلا حتى حوالي سنة (١٧٠٠) قد أشغلت كلاً من اليمن وسورات ، الأمر الذي دفع بحاكم سورات ، وهي أهم مركز تجاري في شمال غرب الهند ، إلى أن يطلب من الهولنديين والانجليز أن يقوموا بمرافقة وحماية سفن سورات المتوجهة إلى جدة والمُخا ، بسفن مُدججة بالسلاح . وحتى أن يقوموا بنقل الحُجاج على سفنهم ، إذا تَطَلَّب الأمر ذلك . وبذلك أُجبِر الأوروبيون على الإبحار بشكل منتظم مستعملين أكبر وأفضل سفنهم من وإلى اليمن . ومن الطبيعي ألاَّ يرغبوا القيام بهذا بحمولة فارغة . وفي نفس الفترة أي حوالي سنة (١٧٠٠) ، بدأ إلحاح غرب أوروبا من أجل الحصول على القهوة . وبهذا أُرسيت شروط التبادل التجاري المنتظم . فازدهرت خلال فترة قصيرة تجارة القهوة مع اليمن بحيث وصلت إلى حمولة سفينتين كبيرتين في السنة . وقد تمَّ تصدير ما يقرب من مليون كغم من القهوة إلى هولندا . وقد دفع هذا الوضع البعض إلى التفكير في إنشاء خط بحري تجاري بين هولندا واليمن . ولكن وحوالي سنة (١٧٢٠) ونتيجة لارتفاع سعر الشراء في اليمن قلَّ الاهتمام الهولندي في تلك المنطقة . وفي نفس الوقت خسرت اليمن سيطرتها على تجارة القهوة . وخلال فترة قصيرة ومن أجل الحصول على القهوة فقد توصل الهولنديون إلى طريق آخر بدل المركز في اليمن . فقد تمَّ في المستعمرات الهولندية في جاوه ، استنبات نوع من القهوة أقل جودة ، كما وكان بالإمكان الحصول على القهوة اليمنية في مناطق أخرى في آسيا . وذلك من المسلمين الذين كانوا يصدِّرونها إلى كل من سورات أو سيلان .

كانت تكاليف الإبقاء على المركز التجاري الهولندي في المخا المعزولة باهظة جداً . وذلك لأنه كان بإمكان الموظفين الهولنديين في الشركة الاحتيال على مستخدميهم . وبسبب خسارة الشركة في مناطق أخرى من آسيا فقد حدث بعد (١٧٢٠) انحسار في السيولة النقدية للشركة وذلك بينما كان على الهولنديين في اليمن أن يدفعوا النقود الفضية ثمناً للقهوة . ولقد حاول الهولنديون الإبقاء على مركزهم في اليمن ، ولكنهم اضطروا سنة (١٧٣٩) إلى إلغائه نهائياً . ومع ذلك فقد استمر إرسال السفن إلى المخا من وقت إلى آخر وذلك على مدى عشرين سنة أخرى وحين يكون السوق ملائماً .

لم يجذب الجزء المتبقي من الشاطيء العربي للبحر الأحمر إلا اهتماماً هولندياً قليلاً . ورسمياً فقد منع الأتراك الأوروبيين من الإبحار في البحر الأحمر . وقد أبدى الهولنديون في بعض الأوقات اهتماماً من أجل الحصول على منفذ إلى البحر الأحمر . وذلك لأن الكثير من المنتجات القادمة من شرق آسيا ، كانت تصدَّر إلى بلدان البحر المتوسط عبر جدَّة والسويس . وكذلك الحال بالنسبة للقهوة اليمنية التي كثيراً ما كانت تصدَّر إلى الغرب عبر السويس : وعندما أوقف الهولنديون تجارة القهوة من المُخا ، لم يتوقف وصول كميات كبيرة منها إلى هولندا عبر مصر ودون وساطة شركة الهند الشرقية . ولقد أتاح البحر الأحمر اتصالاً بريدياً سريعاً بين أوروبا وشرق آسيا ، ولكنه لم يصل إلى مستوى عالٍ من النجاعة . فكان من الأفضل إرسال بريد الخليج القادم إلى البصرة بواسطة القوافل المتوجهة إلى حلب . ولقد كانت احتمالات التجارة معروفة في ذلك الوقت ، ففي سنة (١٦٦٥) كان القنصل الهولندي في مصر قد بدأ بممارسة التجارة عبر البحر الأحمر ولكنها انتهت إلى إفلاس ذاع صيته . في سنة (١٧٢٩) وجَّه حاكم جدة دعوة إلى الهولنديين من أجل إرسال سفنهم إلى جدة . وفقط بعد مرور سنوات عديدة وبعد تكرار الدعوة ، أرسلت الشركة سفنها إلى جدة وذلك على سبيل التجربة ولكن النتائج لم تكن مرضية فالبعثتان التجاريتان اللتان أُرسلتا إلى جدة في (١٧٥١) وفي (١٧٥٢) لم تصلا إلى نتائج تُذكر . فقد اكتشف قباطنة سفن الشركة بأن سفن القطاع الخاص الهولندية كانت قد سبقتهم إلى البحر الأحمر وبأنه لم يتبق للشركة أية إمكانية لجني ربح يذكر .

حقاً لقد قامت الشركة بعملية مسح دقيقة لساحل البحر الأحمر ، كما وقامت برسم خرائط بحرية دقيقة للمنطقة بحيث ظهرت جميع أماكن الكُثبان الرملية ، التي كلفت شركات ضخ الطين في قرننا هذا الكثير من المشقة والعناء (لوحة ١٦) . وفي عام (١٧٥٥) قام التجار المصريون والسفير الهولندي في اسطنبول معاً بالمحاولة مجدداً . وكما كان عليه الأمر عام (١٦٦٠) فإن هدف هذه المحاولة هو البضاعة الذاهبة إلى السويس عبر البحر الأحمر والتي كانت السفن العربية تقوم بنقلها . ولكن الرسوم الجمركية المرتفعة في مصر أدت إلى فشل هذه المحاولة . وفي نهاية الأمر كان التجار الهولنديون متورطين بخطط انجليزية لإرسال السفن التجارية إلى السويس عبر البحر الأحمر ، لكن السلطان العثماني جدد وبسرعة الحظر على السفن الأوروبية من الإبحار في البحر الأحمر . هذا هو جزء من الدور الذي لعبته هولندا في الفترة التي سبقت افتتاح قناة السويس بمدة طويلة .

كان الإبهام وعدم الوضوح هو السِّمة التي طبعت معرفة الأوروبيين بالأجزاء الداخلية لشبه جزيرة العرب . ففي أمستردام والتي كانت تُعتبر في القرن السابع عشر ، مركزاً علمياً للعلوم الجغرافية ، طُبعت خرائط وأوصاف لشبه الجزيرة العربية . أما الخرائط التي تتعلق بالأجزاء الداخلية لشبه الجزيرة العربية فقد اعتمدت على الخيال وعلى كتب إيطالية قديمة غير واضحة ، وكذلك الأمر بالنسبة للأعمال الأولى لـ بلاو و دابر . في مطلع القرن الثامن عشر نُشرت في انجلترا الأوصاف الأولى والدقيقة لكل من مكة والمدينة وقام بنشرها جوزيف بتس الذي كان مرغماً على زيارة الأماكن المقدسة كعبد من عبيد الجزائريين . وكان الناشر الامستردامي تريون أول من قام بنشر المُعطيات الانجليزية في الهولندية . أما فيما يتعلق بمناطق الشاطيء فقد اختلف الأمر . فقد كان في حوزة الناشرين في امستردام معلومات لم تكن متوفرة حتى في الأرشيف السري لشركة الهند الشرقية . فالناشرون في امستردام كانوا أول من حدد مكان الكويت على الخارطة . وحتى أن بعضهم كان عام (١٦٤٥) على علم بأن قطر شبه جزيرة . ولقد تم نسيان هذه المعلومات حتى جاء الانجليز بُعيد (١٨٠٠) بخرائط نهائية للشاطيء العربي في الخليج . إن الخرائط الهولندية للبحر الأحمر كانت من الدقة بحيث أنها أشارت إلى وجود سُبل للتسلل رغم نطاق الحظر التركي .



١٦ ــ خارطة البحر الأحمر ــ شركة الهند الشرقية ، وتعتمد على بعثات هولندية بعد (١٧٥٠) ، من أطلس ده هان (١٧٦١) . أرشيف الدولة العام VELH 156 . الجزء الثاني .

(جـ) شركة الهند الشرقية في الخليج :

الصحاري ، المستنقعات الملحية ، المنطقة الجبلية الجرداء والواقعة على الشاطيء العربي للخليج ، كان فيها القليل من عوامل الجذب التجارية . فليس من المستغرب أنه قد تمَّ استطلاع الشاطيء الواقع بين البحرين ورأس الخيمة الواقعة على مقربة من مدخل مضيق هرمز ، في القرن الماضي فقط . وبالرغم من هذا فقد تواجد الهولنديون في الأماكن الساحلية حيث توفرت ثغرات بين الكثبان الرملية مكَّنت من التبادل التجاري . فمن ناحية حاول الهولنديون وباستمرار إيجاد سوق بديلة وذلك في حالة تعطل التجارة في بندر عباس (الميناء الإيراني الذي كان في ذلك الوقت مركز التجارة الأوروبية في الخليج) فكانت البصرة ، البحرين ومسقط هي المرشحات لهذا الغرض . كذلك أظهرت شركة الهند الشرقية اهتمامها باللؤلؤ الذي كان الغواصون العرب يجمعونه من حقوله الواقعة بين رأس الخيمة والبحرين . وفي الوقت الذي تعذَّر فيه الحصول على الكبريت ، حاول ممثلو هولندا في الخليج استخراج هذه المادة الاستراتيجية من الكويت . وكان هناك أيضاً ولفترة طويلة دافع سياسي . ففي بداية القرن السابع عشر كان الهولنديون طرفاً في تحالفات متعددة هدفها طرد البرتغاليين من مسقط . وعندما نجح العرب في تحقيق ذلك سنة (١٦٥٠) أظهر الهولنديون اهتمامهم في إمكانية فتح مركز تجاري في مسقط ، وفي نفس الوقت التحالف مع إمام عُمان ضد البرتغاليين .

وغالباً ما كان يظهر أن الإمكانيات التجارية محدودة جداً وذلك بعد البحث أو المحاولات ، فكان الأمر لا يتعدى محاولات لا تُعمِّر طويلاً . إلى جانب ذلك ، فإن كون هولندا أقوى دولة بحرية في الخليج منذ (١٦٢٥) وحتى بعد (١٧٤٠) كان على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للسياسة المحلية . كانت سياسة الشركة القائمة على التجارة الحرة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعرب ، قد مكَّنت السفن الهولندية من التنقل بحريَّة



١٧ ـــ خارطة للخليج (على الأرجح بُعيد ١٦٦٧) وتعتمد على نتائج رحلات الاستطلاع الهولندية (١٦٤٤ ــ ١٦٤٥) وكذلك (١٦٦٦) ، أمام شواطيء عُمان واتحاد الإمارات العربية الحالي . ويظهر العلم الهولندي واضحاً



للعيان في البصرة وخامرون . كما وتعتمد معطيات هذه الخارطة على الخرائط البرتغالية لقطر (كمدينة) وللجزيرة الكويتية فيلكة والتي اسمها هنا الها ده اكواده . مخطوطة من أرشيف الدولة العام VEL220 .

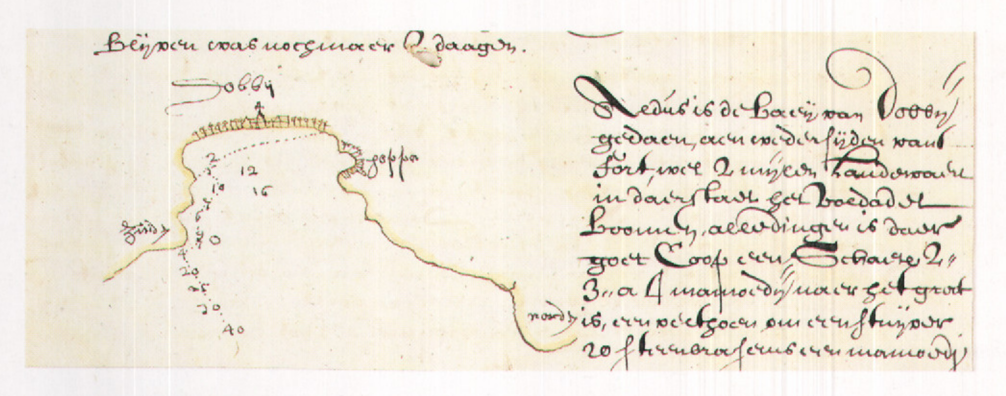
ودون أن تواجه صعوبات من السفن العربية التي كانت تتصدى للسفن البرتغالية والانجليزية وذلك عندما كانت الأخيرة تحاول فرض سيطرتها على التجارة العربية . وكثيراً ما كانت شركة الهند الشرقية تستعمل السفن العربية الصغيرة للنقل لمسافات قصيرة . وفي بعض الأحيان لعب الهولنديون دوراً مهماً للعرب ، تارة كوسطاء وأحياناً كمستخدمين (بكسر الدال) وأخرى كحلفاء مباشرين .

ظهر الهولنديون في الخليج بعيد قيام الانجليز سنة (١٦٢٢) بطرد البرتغاليين من مضيق هرمز ، وبظهورهم فتحوا الخليج للملاحة العالمية . كما أن بيتر فان دن بروكه كان أول قائد للبعثات إلى اليمن فإنه هو الذي قام بإرسال أول بعثة تجارية . ثم كانت هناك الحاجة الماسة إلى وجود الأسطول الحربي الهولندي من أجل تفادي سيطرة البرتغاليين مجدداً على الملاحة في الخليج ، منطلقين من مركزهم في مسقط . وقد أرسل قومندان إحدى السفن سنة (١٦٣٢) تقريراً مفاده أن القبائل العربية قد احتلت رأس الخيمة وطردت البرتغاليين منها ، كما وقاموا بمحاصرة مسقط . وقد وُجِّه لوم شديد اللهجة إلى القومندان من قِبَل رؤسائه ، لأنه بدل أن يقوم بالاتصال بالعرب مستفسراً فيما إذا كانوا بحاجة إلى مساعدته ، قام بمحاربة البرتغاليين في الشاطيء الشرقي لإفريقيا . كما وتلقى مدير المركز الهولندي في الخليج أمراً لكي يقوم بالاستفسار من العرب فيما إذا كان لديهم الاهتمام بعقد تحالف ضد البرتغاليين ، ولكن لم تتضح نتيجة هذا الأمر .

وتكرر التخطيط في السنوات التالية من أجل إخراج البرتغاليين من مراكزهم الثابتة في عُمان لكن هذه الخطط لم تخرج إلى حيِّز التنفيذ . وقد وصل الأمر بأحد المغامرين بأن قام بتجميع فرق من هولندا من أجل تحقيق ذلك الهدف . بعد سنة (١٦٤٠) كانت هناك مبادرات في اتجاه آخر . كان الانجليز قد بدأوا التبادل التجاري مع البصرة ولكن على مستوى بسيط ، فأراد الهولنديون تجربة الشيء نفسه . فقد كانت في أوروبا سوق جيدة للؤلؤ . فتقرر إرسال موظف من الشركة إلى البحرين مهمته استئجار بيت هناك وبيع منتجات الشركة وشراء اللؤلؤ .

ولم يكن هذا الموظف ـــ كوستيروس ، يتمتع بكفاءة عالية لذلك فلم تتكلل مهمته إلى البحرين بالنجاح . فمنذ البداية قابله قبطان عربي ظنَّه من أعدائه البرتغاليين فقام بسجنه ومصادرة بضاعته . وتمَّت تسوية الأمور وذلك بعد أن اتضح سوء التفاهم الذي وقع ، ولكن لم يحصد المركز التجاري في البحرين النجاح المرجو منه . فبما أن التجار المحليين لم يرغبوا في أن يخسروا هذه السوق أيضاً لصالح الأوروبيين المتطفلين ، فإنهم نجحوا في إجبارهم على دفع باهظ الأثمان لقاء ما يشترونه من اللؤلؤ . وعلى ضوء ذلك قررت الشركة عدم الاستمرار في الخطة . أما بيع المنتجات الأوروبية في البحرين فقد حقق ربحاً معقولاً ولكن إمكانيات البيع في هذه الجزيرة الصغيرة لم يكن فيها الكفاية . كما لم يكن النجاح حليف البعثة التي أُرسلت إلى البصرة . ولقد حدث شيء آخر في نطاق هذه العملية ، فبما أنه لم تتوفر خرائط جيدة للخليج في ذلك الوقت ، فإن السفن الهولندية لم تستطع الوصول إلى ثغر باشمشير ، الذي كان الطريق المؤدي إلى البصرة ، فضاعت هذه السفن ووصلت إلى الجنوب . وفي نهاية الأمر أنزلوا قواربهم في الجزء الشمالي من مدخل خليج الكويت . ولكنهم لم يجدوا غير أرض خالية . وبذلك اتَّضح أن الهولنديين كانوا أول أوروبيين يضعون أقدامهم في الكويت بالرغم من أنهم لم يجدوا غير السبخات الملحية الخاوية .

ولقد تمَّ في نفس الوقت إرسال السفن من أجل استطلاع شواطيء شبه جزيرة مسندم (الجزء الجنوبي من مضيق هرمز) . فكانت إحدى نتائج هذا الاستطلاع هو الرسم الذي وُضع لمدينة دبا في يوميات إحدى السفن والذي يعتبر من أقدم الرسوم التي وضعت لمكان في تلك المنطقة (لوحة ١٨) . ولقد أُعجب القبطان الهولندي بحسن الضيافة والاستقبال ، ولكن كان جلياً ، أن الاحتمالات الاقتصادية كانت



١٨ ــ مسودات رسم لدبا في سجل سفينة زيم ايو . وقد رسمت خلال رحلة الاستطلاع الهولندية إلى شبه جزيرة مسندم سنة (١٦٤٥) . ويرافقها ما نصه : « وبهذا عمل خليج دبا » وكذلك ناحيتي القلعة وعلى بُعد ميلين تنتصب أشجار النخيل الكثيرة . كل شيء هنا رخيص ، خروف بـ ٢ ، ٣ ، ٤ محمودي ، وذلك حسب كبره . دجاجة مرعى بخمس سنتات ، عشرون سمكة بمحمودي » أرشيف الدولة العام . مجموعة خيلينسين ده يونغ ، 280 .

في أدنى مستوى . ولم تجرؤ السفن الهولندية الكبيرة الحجم أبداً ،استطلاع الشاطيء الجنوبي للخليج وذلك بسبب الخطر الكامن في ضحولة مياهه . وإلى الغرب من شبه جزيرة رأس مسندم وبالقرب من شأم حيث تقع الآن الحدود بين عُمان والإمارات العربية المتحدة ، انتصبت منارة بيضاء ظهرت في جميع الخرائط البحرية الهولندية القديمة ، وبقيت لمدة طويلة أبعد نقطة للغرب والمعروفة للبحارة الهولنديين . وقد اختفت الآن هذه البناية التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام . ولكن مازالت الهضبة التي كانت عليها البناية قائمة على الشاطيء وذلك إلى الجنوب من الحدود الحالية بين عُمان والإمارات العربية المتحدة ، كما وأن قطع الفخَّار الصيني مازالت شاهداً على الحركة التجارية النشطة التي كانت آنذاك .

وعلى الرغم من امتلاك الشركة لحقول اللؤلؤ في سيلان ، إلا أنها كانت تبدي ــ من حين إلى آخر ــ اهتمامها في لؤلؤ الخليج . ففي عام (١٦٥٣) كان هناك مشروع خطة لإرسال بعثة إلى البحرين ورأس الخيمة ، ولكن الحرب مع انجلترا عطَّلت إخراجها إلى حيِّز الوجود . ومن جديد وبعد مرور عشر سنوات ، أرسلت الشركة موظفاً هندياً إلى البحرين ، ولكن كان الفشل مصيره .

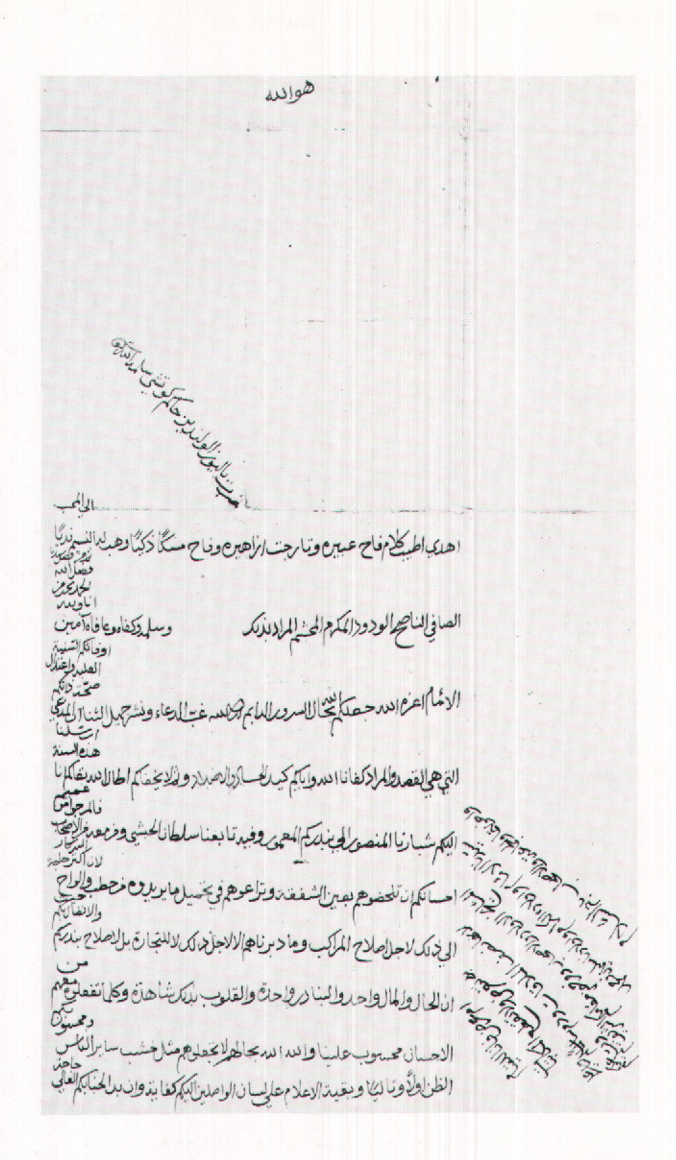
لقد فتح طرد البرتغاليين من مسقط سنة (١٦٥٠) مجالات متعددة ، فحال انتشار هذا الخبر وجهت السفينة الهولندية التي كانت في البصرة في سبيل إعادة التجارة ، إلى مسقط من أجل جس النبض . لكن اتضح أن المدينة دُمِّرت أثناء الحصار الطويل الأمد ، الأمر الذي لا يدع أي مجال للتجارة . لكن تغيَّر هذا الوضع بعد عام (١٦٦٠) وذلك إثر احتلال الهولنديين لمعسكرات البرتغاليين على شاطيء مالبار الواقعة في أقصى جنوب غرب الهند . وبذلك فُتحت أمام العرب مجدداً تجارة البهارات والأفاوية المالبارية المهمة والتي كانت عماد اقتصاد مسقط . وقد وجه الإمام دعوة إلى الشركة لإنشاء مركز في مسقط . كان هناك توجس من أن العلاقة الحسنة بين الانجليز والبرتغاليين في ذلك الوقت ، قد أدت إلى التخطيط من أجل استعادة مسقط ، ولكن لحسن حظ العرب فإن هذا التعاون لم يتكلل بنجاح يذكر . وأخيراً تمَّ إرسال سفينة هولندية من أجل استطلاع شاطيء عُمان ووضع خارطة بذلك . ولقد تضمن تقرير هذه البعثة معلومات قيِّمة عن تلك المنطقة . ومنذ ذلك الوقت أخذت الخرائط البحرية الهولندية

تتمتع بدرجة كبيرة من الثقة . وقد اتَّسمت المحادثات مع عُمان بالبطء ، وكان لمشاكل الشركة في أماكن أخرى أكبر الأثر في تأخير افتتاح مركز لها في عُمان وذلك سنة (١٦٧٤) .

ولم يكن مستقبل هذا المركز زاهراً ، فعلى الرغم من أن عُمان كانت مبتدئة إلا أنها كانت قوة استعمارية تجارية ناجحة فشكَّلت بذلك منافساً قبل أن تكون شريكاً . فقد كان العُمانيون يتاجرون في المحيط الهندي بنفس نوع التجارة التي كان الهولنديون يتعاطونها ألا وهي تجارة السكر والبهارات . وقد كانت نظرة المندوب الهولندي عميقة شاملة في حديثه عن عُمان شعباً وأرضاً ، فشكَّلت بذلك إسهاماً مهماً في فهمنا لعُمان . وكان أمل الهولنديين في أن يقوموا بتجارة كانت للعرب فيها خبرة واسعة ، فقام العرب باتخاذ إجراءات متوقَّعة من أجل أن يتفادوا تهديد الهولنديين لهم في أسواقهم . وكان الهولنديون على استعداد لتقديم الدعم العسكري والمالي فقط ، وذلك في حالة وجود إمكانية تجارية مربحة . ولم تكن هناك إمكانية في إيجاد توافق بين مصلحة الطرفين . فكان ما تبقى صداقة اتسمت بالغموض ، فمن ناحية منحت العرب حرية الملاحة إلى مالبار والمياه الأندونيسية بينما من الناحية الأخرى تمتع الهولنديون بحرية الملاحة في الخليج دون اعتراض عربي (لوحة ١٩) . ولقد كانت هناك الكثير من المحاولات الدائبة من أجل الإبقاء على استمرارية التجارة مع البصرة ولكن بقي نطاق هذه التجارة محدوداً ، لأن العمانيين ومسلمي الهند سيطروا على القسم الأكبر من هذه التجارة . ولقد استمرت الشركة في اتجارها مع البصرة بالرغم من أن الفوائد كانت محدودة وذلك من أجل المحافظة على الاتصال البريدي البري والسريع بين هولندا والمراكز الآسيوية للشركة في حالة نشوب حرب أوروبية واسعة .

وفي سنة (١٦٩٢) أُجريت محاولة جديدة مع البحرين ، فقام جوهرجي هولندي باستئجار سفينة عربية من أجل البحث عن اللؤلؤ لكن النتيجة الهزيلة أدت إلى اتخاذ قرار بعدم الاستمرار في المحاولة . وحقيقة أن شراء اللؤلؤ كان يتم في البصرة ، لكن الاتجار مع البصرة لم يكن ممكناً في نهاية القرن وذلك بسبب حالة الحرب التي كانت سائدة هناك . كما وكانت في الناحية الأخرى من الخليج مشاكل بسبب الحرب بين عُمان وإيران . ولكن العلاقة بين هولندا والعرب كانت جيدة إلى درجة أن الهولنديين لم يواجهوا أي إعاقة من قِبَل السفن العربية أثناء إغلاق عُمان للخليج . كما وأن محاولات الشاه دفع السفير الهولندي إلى تقديم دعم عسكري باءت بالفشل فحاول الفرس عندها عقد حلف عسكري مع الملك الفرنسي لودفيك الرابع عشر والذي كان في ذلك الوقت في حالة حرب مع هولندا . ولكن وبسبب عدم وجود قوة عسكرية لـ (ملك الشمس) في منطقة الخليج فإن الحلف لم يشغل بال الهولنديين .

كان العقد الأول من القرن الثامن عشر فترة حرجة . فادَّعى الانجليز بعد سنة (١٧٢٥) السيطرة في البحر وأرادوا منع السفن العربية من الإبحار إلا إذا كان في حوزتها جوازات سفر انجليزية . أما الهولنديون الذين كانوا يتبادلون التجارة مع القبائل العربية فقد تولَّد لديهم شعور بالتهديد ، وذلك بسبب تصرف الانجليز هذا . لكن لم يكن باستطاعة الانجليز الاستمرار في سياستهم هذه فعادت حرية الملاحة في الخليج بسرعة . وقد أخذت التجارة من بندر عباس بالتراجع منذ سنة (١٧٤٠) بينما أخذت أهمية البصرة في التقدم ، إلى أن أصبحت من أهم مراكز دعم الشركة في الخليج . وفي هذا الوقت بالذات بدأت الكويت بالبروز . فتقرير القنصل الهولندي يشير إلى أن بعض القوافل أصبحت تتوجه إلى الكويت بدل أن تتوجه إلى البصرة . أما التجارة الهولندية مع البصرة فقد ازدهرت وكانت للهولنديين علاقات حسنة مع القبائل العربية المجاورة . فقد جاء في إحدى اليوميات المحافظ عليها وصف معبِّر لحفلة ختان جرت عند أحد الشيوخ



هو الله

الى الحب

اهدي اطيب كلام فاح عبيره وتارجت ازاهيره وفاح مسكًا ذكيًا وهب له النسيم نديًا

الصافي الناصح الودود المكرم المحتشم المراد لذلك وسلمه وكفاه وعافاه آمين

الامام اعزم الله جعلكم بمحال السرور الدايم لكم الله غب الدعاء ونشر جميل الثنا ان المدعي

التي هي القصد والمراد كفانا الله واياكم كيد الحاسد والحساد ولا يخفاكم اطال الله بقاكم انا

اليكم بشار نا المنصور الى بندركم المعمور وفيه تابعنا سلطان الحبشي ومعه من الاصحاب

احسانكم ان تلحظوهم بعين الشفقة وتراعوهم في تحصيل ما يريدون من حطب والواح

الى ذلك لاجل اصلاح المراكب وما دبرناهم الا لاجل ذلك لا للتجارة بل الاصلاح بندركم

ان الحال والمال واحد والبنادر واحدة والقلوب بذلك شاهدة وكلما تفعلون معهم من

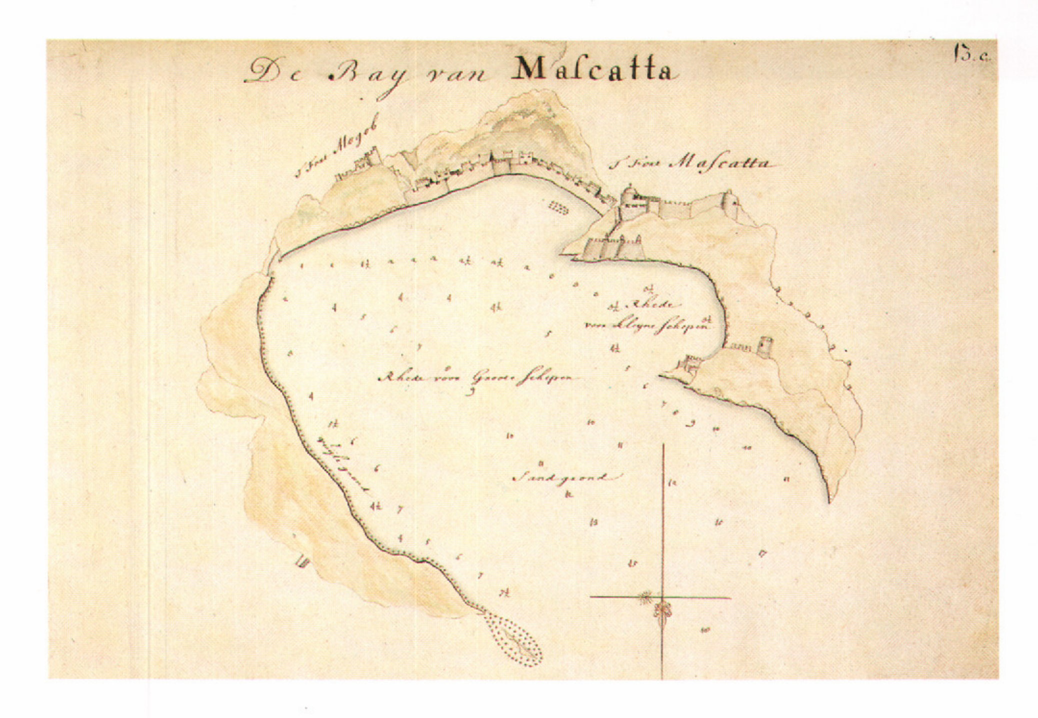
الاحسان محسوب علينا والله الله بحالهم لا تخلوهم مثل حسب سابر الناس

الظن اولًا وثانيًا وبقية الاعلام على لسان الواصلين اليكم كفاية وان بدا لكم حاجة العالي

١٩ — واحدة من أقدم الرسائل العربية الأصلية التي مصدرها منطقة الخليج . رسالة من حاكم مسقط إلى حاكم مالبار الهولندي (١٧٧٩) . أرشيف الدولة العام ، Aanw 1894.23 .

في الصحراء . ومما يجعل للوضع ميزة خاصة ، هو ما جاء في رسالة تعليمات تلقاها قبطان السفينة الهولندية من رؤسائه ، وكان خلال سفره عبر الخليج إلى البصرة قد اصطحب معه عربياً ، فكان يجب معاملته معاملة جيدة وعلى الأخص ، كان على البحارة الهولنديين احترامه احتراماً كاملاً فيما يتعلق بالقيام بواجباته الدينية .

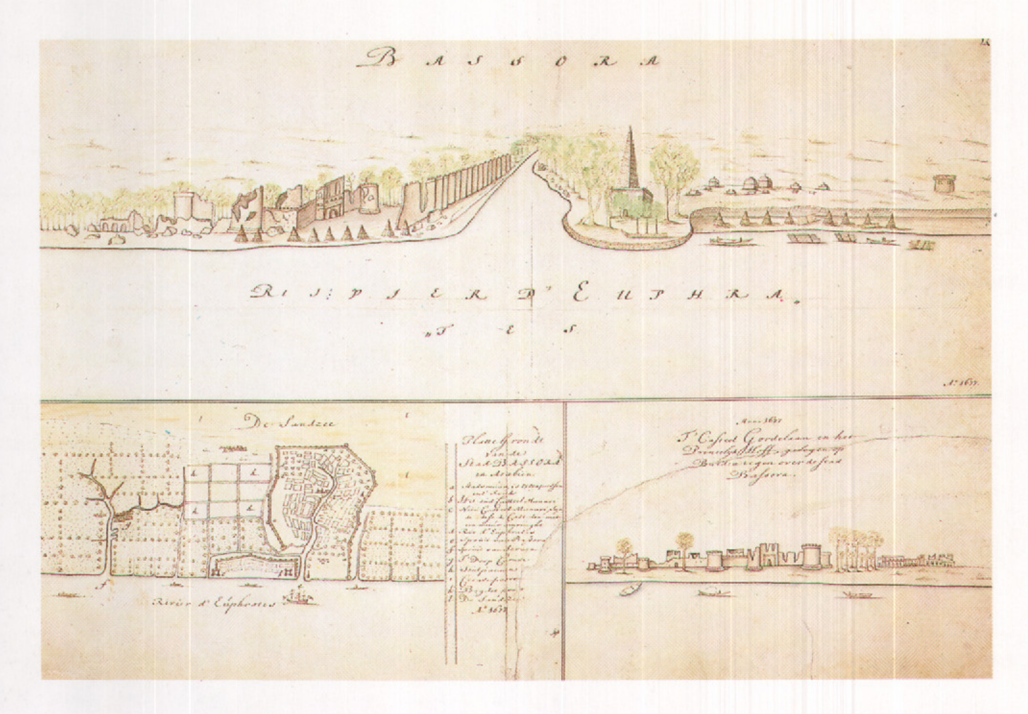
و لم تكن العلاقات الهولندية مع السلطات التركية في البصرة جيدة وذلك مقارنة بعلاقاتهم مع العرب . وقد ساعدت هذه العلاقة الجيدة بشكل إيجابي وذلك عند حدوث مشكلة بين حاكم البصرة التركي والممثل الهولندي تيدو فريدريك فان كنيب هاوزن . فقد قام الحاكم التركي باحتجاز الممثل الهولندي ، وكان عليه أن يدفع غرامة باهظة لقاء إطلاق سراحه . وعندما غادر كنيب هاوزن البصرة فقد حصل من أحد شيوخ القبائل المجاورة على جزيرة خرج وذلك من أجل إقامة مركز للشركة هناك . فأقيمت قلعة في خرج وحُوِّلت إلى ميناء حر . بعدها قامت السفن الهولندية بمساندة من العرب بمحاصرة البصرة وإجبار



٢٠ — « منظر مسقط » من أطلس غرفة أمستردام لشركة الهند الشرقية . نسخة طبق الأصل عن اللوحة التي قامت برسمها البعثة الهولندية (١٦٦٦) VEL 222 .

الحاكم التركي على إعادة الغرامة المالية .

كانت آمال كنيب هاوزن عريضة فحاول اجتذاب القبائل العربية إلى خرج من أجل الغوص بحثاً عن اللؤلؤ . كما وكانت له علاقات جيدة مع مبارك بن صباح ، واحد من أهم شيخين في الكويت ، فحاول تطوير تجارة الكبريت مع الكويت . استعمل كنيب هاوزن في دفاعه عن الجزيرة جنوداً ذوي بشرة سمراء من جنوب إفريقيا . ولقد نُقل عن الزائرين الإنجليز بأن كنيب هاوزن كان يدلل هؤلاء الجنود لدرجة أنهم كانوا على استعداد للتضحية بأنفسهم فداء له . كما وقام كنيب هاوزن بتجنيد العرب للشركة . وقد زود رؤساءه بمعلومات ضافية عن القبائل الساكنة على شاطيء الخليج . ويحتوي هذا الوصف على مُعطيات فريدة لتاريخ الشاطيء العربي للخليج ، كذلك على وصف مهم للكويت ، القطيف ، البحرين ، رأس الخيمة ومسقط ، بالإضافة إلى المعلومات حول حكام هذه المناطق وطرق التجارة فيها . ومن الجلي أن الكاتب متعاطف مع العرب . فعلى حد رأيه فإنه من الضروري التعامل مع رؤساء القبائل العربية بكل صراحة ولطف ، بينما يجب أن تتَّسم المعاملة مع السلطات التركية والإيرانية بالقسوة والشدة . إن محاولة كنيب هاوزن التعامل مع القبائل العربية ذات السياسات المختلفة جعلت رؤساءه لا يوافقون على خططه . وقد قام سنة (١٧٥٦) بإرسال خطَّته إلى الحاكم العام من أجل احتلال البحرين وذلك حرصاً على مصلحة الشركة ولأن ميناء خرج الحر لا يفتح مجالات واسعة وكذلك وحسب رأيه بسبب وجود العديد من المشاكل في البحرين . ولكن كان لمجلس الشئون الهندية العديد من النقاط المعارضة لهذه الخطة . فقام مدير عام الشركة في آسيا بإرسال آخر حجة والتي مفادها بأن إمكانية الهولنديين من المتاجرة مع الخليج ، تعود إلى عدم احتلالهم لأي منطقة كما فعل البرتغاليون ، وتنفيذ خطة كنيب هاوزن سوف تسبب كرهاً



٢١ ـــ شكل توضيحي للبصرة مع منظر يشرف على المسار المائي المؤدي إلى المدينة وكذلك إلى قلعة بالقرب منها . وقد عملت بإشراف بعثة هولندية سنة (١٦٧٧) . مخطوطة من أرشيف الدولة العام ، VEL863 .

للهولنديين تماماً كالبرتغاليين . بالإضافة إلى ذلك فقد مُنع من التدخل في العلاقات بين القبائل وبهذا كانت نهاية هذه الخطط . غادر كنيب هاوزن إلى باريس حيث صرف جميع ما امتلكه أثناء تواجده في الخليج ومات فقيراً مُعدماً .

ومن جديد جاءت محاولة لبعث الحياة في تجارة السفن الهولندية مع مسقط ، ومجدداً لم تتكلل هذه بالنجاح . وعاشت خرج فترة ازدهار كميناء حر ولكن كان هناك القليل من الربح للشركة . فاتخذ قرار بإلغاء مركز الشركة هناك . كل هذا أدّى إلى انسحاب الشركة من الخليج . وبين الحين والآخر كانت تذهب سفينة هولندية إلى عُمان . كما وأن العلاقات التجارية بين عُمان والمركز الهولندي في مالبار وحتى في جاوه ، بقيت نشطة . ولكن كانت السفن العُمانية هي التي تقوم بهذه التجارة وتقريباً بشكل دائم .

كان لنشاطات شركة الهند الشرقية نتائج استثنائية . فالقليل القليل هو ما نعرفه عن هذه المنطقة خلال القرنين السابع والثامن عشر . فقامت تقارير الممثلين الهولنديين في تلك المنطقة بتزويدنا بالمعلومات القيِّمة حول الأحداث والأشخاص والتي من شأنها أن توضِّح الكثير من تاريخ هذه المنطقة والتي تكاد تكون المعطيات المتوفرة حولها على درجة كبيرة من القلَّة .

(د) الفترة الواقعة بين (١٨٠٠) و (١٩٠٠) :

على أثر إلغاء شركة الهند الشرقية فقد تمَّ إغلاق أكثر المراكز التجارية والمستعمرات خارج إندونيسيا أو أن الانجليز قاموا باحتلالها . وبقيت بعض العلاقات التجارية قائمة بين الهولنديين وعُمان .

ومن أجل استعادة نشاطات شركة الهند الشرقية فقد أنشئت الشركة الهولندية للتجارة وذلك سنة (١٨٢٤) والتي قامت حالاً بإرسال سفن لاستطلاع التجارة في كل من عُمان والبصرة . ومن جديد لم تكن النتائج مُرضية . وبقي الأمر كذلك حتى بعد قيام المملكة العربية السعودية وقبل أن تتمكن الشركة الهولندية للتجارة من فتح مركز تجاري لها في جدة ألا وهو أول بنك دولي في السعودية .

عام (١٨٧٧) عقد اتفاق تجاري بين هولندا وعُمان ولكن لم يكن لهذا الاتفاق أي مستقبل يُذكر وذلك لأن السيطرة الفعلية في تلك المنطقة كانت في أيدي الانجليز . وكذلك الحال كان مصير خطط الأمير هندريك العريضة (أحد أشقاء الملك الهولندي وليم الثالث) . كان هذا المشروع الكبير يطمح في جعل البصرة بداية طريق تجاري هولندي يكون عليه منافسة الطريق التجاري الانجليزي عبر قناة السويس . ولكن موت الأمير هندريك سنة (١٨٧٩) أدَّى إلى نهاية هذا المشروع المبكرة .

وبالرَّغم من أنَّ الحكومة الهولندية كانت على اطلاع مستمر حول الأوضاع في الحجاز وذلك عبر بعثتها في اسطنبول ، إلا أن هذا الاهتمام توقف عند تجميع المعلومات والتي من الممكن أن تبرز أهميتها عند دراسة التاريخ المحلي للمنطقة . إن تنشيط الاستثمار الاستعماري للهند الهولندية منذ حوالي (١٨٢٠) أدَّى إلى تزايد اهتمام الهيئات الاستعمارية في أديان الخاضعين لها بما فيهم المسلمين . وقد اعتبروا الحج في بداية الأمر عنصر تحدّ شاكّين في أن الحجاج عند عودتهم قد يحملون معهم أفكاراً متمردة ضد المستعمرين .

ولقد أبدت الحكومة الاستعمارية سنة (١٨٣٨) اهتماماً عميقاً بالحج . وفقط بعد مرور ثلاثين سنة سمح الأتراك للهولنديين بفتح قنصلية لهم في جدة وبشكل خاص من أجل مراقبة الحجاج من الهند الهولندية . بيد أنه كانت الآمال كبيرة في فتح مركز للعلاقات التجارية . ويعود سبب عدم تمكن القنصل الهولندي في جدة من أن يلعب دوره (الجاسوسي) إلى أن معظم الوقت قد ذهب في سبيل تذليل العقبات التي واجهها الحجاج . وبدأ الاهتمام بالشؤون الإسلامية فقط بعد أن جاء سنوك هرخرونيه بعقلية جديدة كانت قائمة على الاهتمام العلمي والتقدير ، أكثر مما كانت قائمة على دوافع غامضة .

أدَّى افتتاح قناة السويس إلى اهتمام متزايد بموانيء البحر الأحمر ولكن كانت النتائج قليلة . ولم يكن للقنصلية الهولندية في جدة أي مضمون تجاري قبل قيام المملكة العربية السعودية .

وهكذا فإن المحاولات الهولندية لإنشاء علاقات مع شبه الجزيرة العربية في القرن الماضي لم تتكلل بالنجاح . ولم يكن للمبادرات التي كانت سنة (١٨٢٩) وكذلك سنة (١٨٧٧) أي مستقبل مزدهر وذلك لأن الانجليز لم يكونوا ليقبلوا بمنافس يحتل مركزاً اقتصادياً قوياً في الخليج . فالقنصلية الهولندية في جدة والتي بقيام المملكة العربية السعودية سوف تصبح ذات أهمية كبرى ، كانت في المكانة الأولى مكتباً يشرف على الحجاج من الهند الهولندية . فقد غادر إلى مكة بين (١٨٩٠) و (١٩١٠) ما يصل معدله السنوي إلى سبعين ألف مسلم . وقد كان (١٠٪) من هؤلاء من مواطني المملكة الهولندية .

(هـ) الخـــاتمة :

يدلنا تاريخ الهند الشرقية على أن ما حمله الممثلون الهولنديون في المنطقة من أفكار ، أو حتى أعضاء

الإدارة المركزية في هولندا ، بالنسبة إلى الإمكانيات التجارية في منطقة شبه الجزيرة العربية ، كان مبالغاً فيها . فإذا ما حووِل إخراج هذه الأفكار إلى حيِّز التنفيذ تبيَّن أن الأسس الاقتصادية أو السياسية لم تكن بالكافية من أجل القيام بمقاولات وتعهدات مربحة في هذه المنطقة ذات المراكز المتعددة . ولقد حاولت الشخصيات المحلية أيضاً ، دفع الهولنديين إلى فتح مراكز تجارية في مناطقهم وذلك بهدف واضح ألا وهو تحسين الدخل التجاري والمردود الضريبي لذلك المكان ، ولكن كل هذه أيضاً كانت قائمة في أغلب الأوقات على تقديرات غير صحيحة للإمكانيات المتوفرة .

وعدم وصول الهولنديين في أغلب الأحيان إلى الهدف المرجو ، لا يعني تاريخياً ، عدم أهمية وجود شركة الهند الشرقية الهولندية في المنطقة ، فالشركة قد لعبت دوراً مهماً في المحافظة على حرية الملاحة في الخليج . وحقاً ، لقد قام الانجليز بطرد البرتغاليين من مضيق هرمز سنة (١٦٢٢) وحققوا بذلك للعرب حرية الملاحة في الخليج ، ولكن الحصار الهولندي حرص على عدم تمكين البرتغاليين من استعادة نفوذهم وأيضاً على أن يخسروا في نهاية الأمر ممتلكاتهم في شمال عُمان . ومن المهم أيضاً أن الهولنديين قد أعاقوا التحالف الانجليزي ــ البرتغالي سنة (١٦٧٠) من أجل السيطرة على عُمان . ولاحقاً فقد لعب الهولنديون دوراً في كبح زمام السياسة الانجليزية في الخليج والتي كانت قائمة على منع غير الانجليز من الابحار في الخليج . وكانت محاولات كنيب هاوزن خلق منطقة تجارية حرة في شمال الخليج من الأهمية بمكان حيث كان فيه توجّه قوي شاذ نحو العرب . ولكن وبسبب من ضآلة القوة الاقتصادية للمنطقة في ذلك الوقت ، فقد باءت هذه المحاولات بالفشل .

ومن الناحية التجارية كانت نشاطات شركة الهند الشرقية الهولندية في اليمن أهم مما كانت عليه في المناطق العربية في الخليج . وحوالي سنة (١٦٢٠) ولفترة قصيرة فقط ، شكلت التجارة مع اليمن عنصراً مهماً في شركة الهند الشرقية . ولم يكن هناك تأثير مباشر للهولنديين على التوازن العسكري والسياسي على شواطيء البحر الأحمر كما كان عليه الأمر في الخليج ، فلم يتعد الأمر بعض المحاولات من أجل المحافظة على أمن الملاحة في حالة تهديد القراصنة الأوروبيين لها . وكانت نهايات تلك الخطط الجميلة التي رسمها الهولنديون وسكان المناطق العربية ، على أمل أن يجعلوا من طريق البحر الأحمر ــ السويس شرياناً تجارياً مهماً ، فيما بين جنوب شرق آسيا وأوروبا ــ كانت نهايتها إما أنها لم تخرج إلى حيِّز التنفيذ أو أنها باءت بالفشل .

أما فيما يتعلق بالخليج فإن فترة ما بعد (١٨٠٠) لم تقدم أي نجاح يذكر . فالعلاقات مع الحجاز لم تكن ذات معنى منذ البداية ولكنها كانت باعثاً على مستقبل أفضل . وأهم ما حدث قبل ذلك هو إنشاء قنصلية في جدة سوف تلعب دوراً مهماً في القرن العشرين . كذلك ، فالاهتمام العلمي الذي بفضل سنوك هرخرونيه كان له تأثير كبير على إدارة المستعمرات في الهند الهولندية .

وبالرغم من أن العلاقات الهولندية مع شبه الجزيرة العربية ربما لم تكن مثيرة للاهتمام كما قد يبدو ، إلا أن هولندا كانت أكثر الدول الأوروبية نشاطاً في المنطقة وذلك خلال القرن السابع عشر وخلال جزء كبير من القرن الثامن عشر . وتعتمد هذه الرواية على الوثائق العديدة التي أفرزتها تلك الفترة من العلاقات ، والتي أغلبها محفوظ الآن في أرشيف الدولة العام .

رحلة التاجر بيتر فان دن بروكه المستخدم لدى شركة الهند الشرقية الهولندية إلى بلاط الوالي في صنعاء سنة ١٦١٦ .

الأستاذ كورنيلس خ. براور ★

كانت « شركة الهند الشرقية المتحدة » الهولندية التي تأسست عام ١٦٠٢ خلال القرن الأول لوجودها ، أعظم هيكل تجاري في العالم . ولم يخوِّلها مجلس الأمة السيطرة الكاملة على التجارة الآسيوية فحسب ، وإنما كان من صلاحياتها كذلك ، عقد المعاهدات وشن الحروب . ومع أن « السادة السبعة عشر » في هولندا شكّلوا معاً أعلى هيئة إدارية ، فقد كان بإمكان « الحاكم العام » الذي اتخذ بتافيا مقراً له ، أن يتمتع بحرية نسبية في ممارسة الحكم الذاتي وذلك بسبب بعده الشاسع عن الوطن . وقد بنيت شبكة من المحطات التجارية على امتداد جميع السواحل الآسيوية تقريباً . وقام أسطول ضخم بالربط بين الشواطيء وحماية المراكز ومحاربة المنافسين البرتغاليين والانجليز . تكدَّست البضاعة الأكثر جذباً وعلى الأخص من الهند الشرقية في بتافيا ، ومن هناك نقلت « بالأساطيل العائدة » إلى هولندا ، ومن أمستردام ، وليس دون ربح فاحش وزعت على أوروبا .

وكان الأرخبيل الهندي قلب المنطقة التجارية لشركة الهند الشرقية ، وخارجه ازدهرت المحطات التجارية في خلف — الهند ، في كورومان‌دل ، سيلان ، فورموزا واليابان . ولم يكن غرب الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية والتي دعيت « بالأرباع الغربية » بأقل أهمية ، وذلك لأنها قامت بتزويد القماش والحرير وفي القرن الثامن عشر القهوة .

ويعود الفضل في تأسيس التجارة الهولندية في الأرباع الغربية هذه ، إلى بيتر فان دن بروكه . ولد في انتفيربن لأبوين بروتستانتيين عام ١٥٨٥ . وقد نشأ في هامبورغ وتدرب كتاجر في امستردام . وبعد أربعة أسفار تجارية إلى غرب أفريقيا ، انضم « كتاجر أعلى » إلى شركة الهند الشرقية وذلك سنة ١٦١٣ . كان إنساناً منفتحاً ومن السهل عليه اكتساب الأصدقاء . كان دقيق الملاحظة كما وقد ولد راوياً . شهواني ذو مزاج حارّ كما وكان معجباً بنفسه . كان يملك جسداً حديدياً والذي ليس قبل ١٦٤٠ وأثناء حصار مالقه لم يؤثر فيه غير الطاعون .

وفي سنة ١٦٣٤ نشر ملخصاً مطبوعاً لدفتر رحلاته بعنوان « تاريخ موجز وملاحظات على شكل دفتر حوادث » مزوداً بصور محفورة على النحاس بإبرة بيد أدريان ماتهام ومن بينها صورة شخصية للمؤلف عن لوحة زيتية لفرانس هالس (لوحة ٢٢) . وقد نال هذا العمل كثيراً من الاهتمام وأعيدت طباعته وترجمته العديد من المرات .

في الفترة ما بين ١٦٢٠ و ١٦٢٨ شغل فان دن بروكه منصب أول مدير للمحطة التجارية في سورات شمال بومباي . ولم يكن يقع تحت إشراف هذا المقر ، المحطات الفرعية في أحمد آباد وأكرا فقط ، وإنما أيضاً الفرع الفارسي في « خامرون » وهي بندر عباس حالياً ، والفرع العربي « المخا » ميناء اليمن العالمي وملتقى البضائع الهندية والمعادن الكريمة العثمانية (لوحة ٢٣) . ولم يكن تعيين الحاكم العام يان بيترسون

★ الأستاذ كورنيلس خ. براور ، مستعرب ومتخصص في اللغة الهولندية . ينشر باستمرار في التاريخ الاقتصادي لجنوب شبه الجزيرة العربية .



٢٢ — «بيتر فان دن بروكه (١٥٨٥ — ١٦٤٠) » . صورة شخصية من سنة (١٦٣٣) من عمل فرانس هالس (١٥٨١/٥ — ١٦٦٦) صورة زيتية على قماش (٧١ر٢ × ٦١ سم) ايفي بيكويست كنوود لندن .

كون لفان دن بروكه على سورات وليد الصدفة ، فمنذ ١٦١٤ وحتى ١٦١٨ كان هذا قد تحمل مسؤولية ثلاثة أسفار استكشافية إلى شبه الجزيرة العربية والهند .

وأثناء رحلته البحرية من هولندا إلى الهند الشرقية قام خيرارت راينست في أغسطس ١٦١٤ بإرسال فان دن بروكه ، قائداً على السفينة الناساو من جزر القمر إلى الشاطيء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية لتحري إمكانيات التجارة في المدن الواقعة عليه مثل عدن ، الشحر ، وقشن . فما هي الحالة التي كانت سائدة في اليمن حينذاك ؟ منذ عام ١٥٣٨ حاول العثمانيون الأتراك أن يُخْضِعوا البلاد بسلسلة

من الحملات العسكرية . وهذا يتلاءم مع استراتيجيتهم بإغلاق البحر الأحمر في وجه السفن الأوروبية وبالأخص البرتغالية ، من أجل حماية الأماكن المقدسة الإسلامية (مكة والمدينة) وتجارة المسلمين . لكن البلاد الجبلية القاسية والتي من الصعب دخولها وكذلك المقاومة المستميتة لليمنيين العرب ، وقفت عقبة دون الخطط التركية .

في بداية القرن السابع عشر نجح الإمام قاسم باستعادة أجزاء واسعة من الأقسام الداخلية لشمال البلاد من أيدي الأتراك ، وبذلك تضعضعت سيادة « الحاكم العام » العثماني أي البكلربكي في صنعاء . وفي ١٦٣٥ نجح أبناء قاسم في إخراج قوات الاحتلال من آخر استحكاماتها على شاطيء تهامة ، وبعدها بقيت البلاد حتى القرن التاسع عشر حرة من أي احتلال أو سيطرة أجنبية .

وعند وصول فان دن بروكه إلى عدن في أواخر أغسطس ١٦١٤ ، قام الحاكم التركي لهذه المدينة ذات المعسكر باستقباله استقبالاً حاراً في البداية ، ولكن بعد ذلك بفترة قصيرة تم إخراجه من الميناء لأنه حسب وجهة نظر علي آغا فان « اليخت » المدجج بالسلاح وطاقمه العنيد وحمولته المخجلة ، لم تشر إلا إلى أنه سفينة حربية . بالإضافة إلى ذلك فإنه لم يكن بمقدور القائد إبراز فرمان — أي أمر كتابي — من السلطان يسمح للهولنديين بموجبه بممارسة التجارة في هذه المياه . فرحل فان دن بروكه إلى الشحر والتي كانت مستقلة جزئياً عن الأتراك . وقد رحب السلطان عبد الله بحماس بافتتاح محطة هولندية للتجارة أدارها ثلاثة من الرجال .

بعد مضي سنة ونصف غادر فان دن بروكه من جديد إلى جنوب شبه الجزيرة العربية وذلك بناء على أمر الحاكم العام راينست وكون ، ومجدداً على السفينة الناساو . في ٢٥ يناير ١٦١٦ رست السفينة أمام المخا . وكانت مزودة بمدافع ثقيلة وعليها طاقم من خمسة وأربعين من البحارة من بينهم خمسة من التجار ، ولكن هذه المرة أيضاً كانت الحمولة فقيرة وتضمنت الفلفل ، القرنفل ، جوز الطيب والخزف الصيني . وقد شكلت الناساو تهديداً ليس فقط للسلطات العثمانية التي لم يكن في حوزتها إلا بعض المدافع وليس أكثر من غُرابين ضعيفين ، وإنما كذلك لقباطنة السفن التجارية الهندية وعددها ما يقارب الأربعين وحمولتها الغنية والتي كانت مليئة بالمسافرين . فماذا يمكن أن يحدث إذا ما قامت هذه السفينة المسيحية بأعمال القرصنة مثل ما قامت بها في الماضي الغابر السفن الانجليزية تحت إمرة مدلتون ؟ وقد استقبل الحاكم حسن آغا ، فان دن بروكه وأجَّر له بيتاً كما أنزل قيمة الجمارك إلى النصف ولكنه لم يجرؤ على السماح له بالإقامة بشكل دائم لأنه لم يكن في حوزة الهولنديين فرمان من السلطان . فوجه فان دن بروكه إلى رئيسه الباشا ، في صنعاء .

وفي ٢١ أبريل عام ١٦١٦ غادر التاجر الأعلى وبرفقته خمسة من الهولنديين إلى مقر الوالي . ورافق المجموعة فرقة مكونة من ستة عشر جندياً تركياً تحت قيادة آمر الغربان ممي بن عبد الله والذي كان أيضاً ترجماناً . ومن سهل تهامة الرطب الحار ، دخل الموكب المناطق الجبلية الباردة . كان كل من ممي وفان دن بروكه ممتطياً حصاناً ، أما الباقون فقد ركبوا الحمير ، وقد حملت الجمال الهدايا والمواد الغذائية . وبقيت المجموعة في مأمن من الكمائن العربية . وفي كل مكان وصلوا إليه ، استقبل الهولنديون بضيافة وبحفاوة بالغة وذلك بفضل وثيقة الأمان التي كان الوالي قد منحها لهم ، وبما قام به ممي . مرَّت الرحلة بتعز ، إب ، يريم ، وذمار . وقد دوَّن فان دن بروكه باجتهاد ما أدهشه : حقول نامية ، قلاع حصينة ، مدن مزدحمة بالسكان . وقد سباه بشكل خاص جمال تعز ، كما لفت انتباهه مساجدها وحماماتها وتجارتها النشطة .



٢٣ ـ « مخا » . حفر على النحاس (٣ر١٠ × ٣ر١٦ سم) من عمل أدريان ماتهام ، من **تاريخ موجز وملاحظات على شكل دفتر** (١٦٣٤) ، لبيتر فان دن بروكه . مكتبة ليدن الجامعية .

وفي الرابع من مايو وصلوا صنعاء . وفي مقهى (كذا) على مشارف المدينة ، ارتدى فان دن بروكه بذلته الأكثر رسمية وركب فرساً ثمينة منحه إياها كاتب الوالي وتوجه إلى المدينة . فقابلته الخيالة باطلاق النار غير مرَّة ومن ثم ظهر الباشا بنفسه محاطاً بحاشيته ، كلٌّ يرتدي أفخر الملابس ويركب المطايا الجميلة المطهمة . وعبر الجماهير المحتشدة نقل إلى القلعة . وهناك استقبله الباشا شخصياً مصطحباً معه أتباعه . وقد قام جعفر باشا الذي كان يرتدي الملابس الفاحشة الثراء وكأنه « امبراطور العالم كله » . بسؤال التاجر عن بغية حضوره هذا . ثم رحب به وقلَّده عباءة شرفية مذهبة ورجاه أولا أن يستريح من وعثاء السفر. وقد أراد أن يفكر بخصوص طلب التاجر السماح له بفتح محطة تجارية دائمة في ميناء المخا .. وبعد جولة في المدينة اصطحب الجماعة إلى بيت فاخر الأثاث حيث ستمكث الأيام المقبلة .

وفي السادس من مايو سلَّم فان دن بروكه لجعفر ومؤتمنيه الهدايا الهولندية . وقد وعده الوالي بتنفيذ كل ما يرغب .. وفي الأيام التالية شاهد التاجر المدينة عن كثب وبشكل موسع ، وقد فغر فاه دهشة لكثرة الجوامع والبيوت والأسوار والمنتزهات . وقد دهش لرؤيته فهد صيد مدجَّن طليق السراح كان يتجول في حديقة كاتب الباشا المليئة بالعرائش والنوافير المتدفقة .

وفي الثاني عشر من مايو استقبله جعفر للمرة الثالثة ، وكما كان عليه الأمر من قبل فقد كان ممي قائد الغربان مترجماً . وللأسف لم يستطع جعفر النزول عند الطلب الهولندي . فبدون موافقة خاصة من قبل السلطان ، لم يجسر على السماح للمسيحيين الإقامة بشكل دائم وهم على هذا القرب من الأماكن المقدسة . وقد نصح فان دن بروكه بمحاولة تحريك القنصل الهولندي لدى الباب العالي من أجل الحصول

على فرمان ذو فعالية . مسلحاً بمثل هذه الوثيقة فإن التاجر سوف يجد موانيء ولايته مفتوحة ومن الطبيعي أن يُسمح له بممارسة التجارة الحرة في الفصل التجاري .

هكذا فشلت بعثة فان دن بروكه ! ولم يقلل من حدَّة الفشل الخصم في دفع الجمارك وهو ٣٪ بدلا من ٥٪ والذي منح له أثناء استقباله الختامي في السادس عشر من مايو . ومجدداً مشرفاً بعباءة فاخرة غادر التاجر الأعلى المدينة بعد ساعات قليلة . وخارج الأسوار قطع الباشا عليه الطريق محاطاً بحاشيته وودعه للمرة الأخيرة .

في الرابع والعشرين من مايو وصل المخا وتمت المتاجرة باجتهاد وجدية . وحسب وجهة النظر الهولندية فقد تم تحقيق نجاح تجاري : فكمية من البضائع بسعر اثني عشر ألف جيلدر يمكنها إدخال ما يقارب الأربعين ألف جيلدر . أما بالنسبة لمقاييس السلطات العثمانية والتجار الهنود فلم يكن هذا المبلغ ذا قيمة . ولذلك سبَّب رحيل هذه « السفينة التجارية » الهولندية في السابع من يوليو فزعاً شديداً لديهم : فهل ستقوم في عرض البحر بسلب الصناديق المليئة بالنقود والمحملة على السفن الهندية المغادرة ؟ .

ولم يكن لهذا الخوف من أساس . فقد أبحرت الناساو إلى الشحر حيث رفع فان دن بروكه المحطة التجارية التي أسسها من قبل بسبب قلَّة أهميتها ، ثم اتجهت السفينة إلى سورات .

وفي نوفمبر ١٦١٦ عاد اليخت إلى بنتام حيث قدم فان دن بروكه تقريراً مفصَّلا إلى كون . وحالا اتُّخذ القرار بإرسال بعثة من جديد وبسرعة إلى شبه الجزيرة العربية . وأثناء ذلك يجب إجراء محاولة عبر السفير الهولندي في اسطنبول ، كورنيليس هاخه من أجل الحصول على فرمان لصالح الهولنديين .

ومن المُلفت للنظر أن فان دن بروكه ، بالرغم من مكوثه مدة نصف سنة في اليمن فإنه لم يلحظ تعاظم القوة العسكرية للمتمردين العرب كما أنه لم يفهم حالة القوات العثمانية الخطيرة . وفعلا نجح ممي بعزله عن الجمهور وهو نفس ممي الذي أوضح للباشا ، تفوق قوة نيران الناساو . وقد نجح جعفر الذي خيَّب أمل القائد في أن يمنعه من استعمال مدافع سفينته وذلك عن طريق تملق القبطان المعجب بنفسه بالهدايا والمآدب والحفلات والجولات .

وفي النهاية ، وعندما ألقى فان دن بروكه من جديد ، المرساة أمام عدن عام ١٦٢٠ فقد أنزل بلا خوف هيرمان فان خِل ومعه كمية كبيرة من البضائع : إذ كان في حوزة الهولنديين الآن الفرمان المطلوب . وفعلاً وافق الباشا الجديد أن يقوم فان خل بتأسيس محطة في المخا . ولكن أعمال القرصنة التي قام بها الهولنديون فيما بعد ضد السفن الهندية والصراع التركي ــ العربي الذي بُعث من جديد ، كل هذا ، وقف عقبة دون ازدهار المحطة ، على كل حال أثناء الفترة التي كان فيها فان دن بروكه مديراً .

هولنـــدا والعـــالم العــربي :
المغـــرب والمشـــرق

الدكتور الكسندر هـ. ده خروت*

مقـــدمة :

يعود تاريخ العلاقات بين هولندا والعالم العربي إلى القرون الوسطي . فقد قام الحجاج منذ تلك الفترة بالسفر إلى فلسطين . وقد اشترك في الحروب الصليبية فرسان هولنديون ، جنود ورجال دين وبذلك عرفوا طريقهم في ذلك الجزء من العالم العربي . وتشهد تقارير الرحلات ونشرات التوعية الدينية على تلك المرحلة القديمة من التعارف المتبادل (اللوحتان ٣، ٤) . ولقد تمَّ خلال القرن السادس عشر وضع أُسس العلاقات القائمة في العصر الحاضر على المستوى الاقتصادي والسياسي بين العالم العربي وهولندا . ومن الجدير ذكره أن المبادرة جاءت من كلا الجانبين . وقد لعب وجود الطرفين في حرب مع عدو مشترك لهما هو أسبانيا ، دوراً مهماً في التقارب بين العرب وهولندا . فخلال ما يُسمى بحرب الثمانين سنة (١٥٦٨ـــ١٦٤٨) كانت المقاطعات السبع في شمال هولندا في حالة عصيان ضد سيادة آل هبسبرغ وضد ملك أسبانيا .



٢٤ ـــ ((القدس)) ، من براون هوخنبرخ (١٥٧٢) ، الجزء الثاني ، (٥٤) . أرشيف الدولة العام .

---

* الدكتور الكسندر هـ. ده خروت ، أستاذ المؤسسات الإسلامية ، جامعة ليدن .

ولعدة قرون كان آل هبسبرغ وأسبانيا بدورهم ، في مجابهة مع الدول العربية الإسلامية التي كان جزء منها قد وقع تحت النفوذ العثماني التركي منذ (١٥١٧) . لذلك فإن تحالفاً بين هولندا والدولة العثمانية والحكام العرب في حوض البحر الأبيض المتوسط كان طبيعياً . وقد قامت هولندا بعدة خطوات في هذا الاتجاه .

الدول البربرية :

إن التوسع البحري والتجاري لهولندا والموازي للقيام بحرب ضد أسبانيا بحراً ، قد أوصل الهولنديين قبل (١٥٩٠) إلى شاطيء شمال إفريقيا والذي كان معروفاً في ذلك الوقت باسم « بربرية » أو الدول البربرية (المغرب ، الجزائر ، تونس وطرابلس) . وفي أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر قرر الهولنديون القيام بإجراء اتصالات على مستوى متكافيء مع المغرب سنة (١٥٩٦) والدول البربرية في الجزائر سنة (١٦٠٤) وتونس (١٦١٠) وطرابلس (١٦٢٦) وذلك من خلال مبعوثين خاصين . ولم تكن هذه الاتصالات إلا محاولة لدفع الحكام هناك إلى عقد تحالف ضد أسبانيا وكذلك من أجل ضمان سلامة ملاحة السفن الهولندية في تلك المناطق من هجوم القراصنة النشطين من شاطيء شمال أفريقيا . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هدف هولندا التوصل إلى فتح موانيء شمال أفريقيا أمام السفن الهولندية والإفراج عن الهولنديين الذين تمَّ اختطافهم نتيجة لأعمال القرصنة فأصبحوا بذلك من عداد الرقيق . وفي محاولة لإظهار حسن النية تجاه حكام المغرب والجزائر تمَّ الإفراج سنة (١٦٠٥) وذلك تحت إشراف مبعوثين هولنديين خاصين ، عن عدد من المغاربة والجزائريين الذين كانوا قد وقعوا أسرى في أيدي الهولنديين في السنة الماضية وذلك أثناء تحرير مدينة سلوس الهولندية من أيدي الأسبان .

وعلى الرغم من حُسن النية هذا فإنه لم يثمر أكثر من وعود من قبل كل من المغرب والجزائر . وبالرغم من أن المبعوث الهولندي إلى المغرب بيتر مارتينسزون كوي خلال إقامته من (١٦٠٥ــ١٦٠٩) ، لم ينجح في مهمته ، إلا أنه يمكننا اعتباره ممهِّد الطريق أمام أول اتفاق هولندي ــ مغربي والذي تم التوقيع عليه بعد إجراء المباحثات في لاهاي في ٢٤ ديسمبر (١٦١٠) . وكانت المغرب قد أرسلت سفيراً لها إلى لاهاي عام (١٦٠٩) . وفي هذا الاتفاق والذي يعتبر أول معاهدة معقودة بين دولة عربية ودولة أوروبية عظمى ، تمَّ ضمان حرية ملاحة السفن التجارية والحربية الهولندية في الموانيء المغربية وذلك مقابل السماح للسفن المغربية بالإبحار في الموانيء الهولندية . وقد كفلت كل دولة لنظيرتها حرية التجارة كما وأن الشريف المغربي قد وعد بترميم السفن المعطلة وإرجاع البضاعة وأيضاً الإفراج عن الأسرى الهولنديين . وفي نهاية الأمر لم يخرج إلى حيِّز التنفيذ التحديد الوارد في اتفاق (١٦١٠) والقاضي بالإفراج عن الرقيق الهولندي ، كما وأن القراصنة المغاربة لم يفكروا في إيقاف هجماتهم على السفن الهولندية ، خاصة وأن قوة شريف المغرب كانت من الضعف إلى درجة أنه لم يكن بإمكانه إجبارهم على إطاعته .

وبسبب كل هذا فقد حدث نوع من التكرار في سيناريو العلاقات بين هولندا وبلاد المغرب العربي . رغب الهولنديون في المحافظة على علاقات صداقة مع الدول العربية في شمال إفريقيا من أجل مصلحة ملاحتهم في البحر الأبيض المتوسط . وكانت القرصنة بالنسبة لحكام تلك المناطق أكثر إغراء من إيقاف دائم للهجمات على السفن الهولندية . وحقاً ، فقد كان دخل الباشوات يعتمد بشكل كبير على القراصنة في منطقتهم ،



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

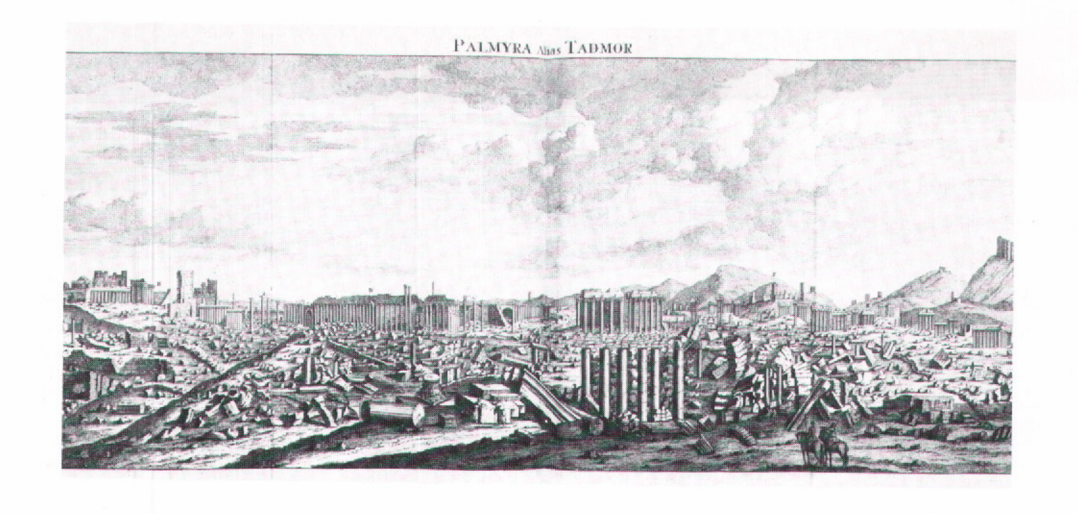
أدام الله تأييده ، ونصر عساكره المظفرة بالله وجنوده
أمير البراصيداوس الفلامنك السلام على من اتبع الهدى
أما بعد فإن قونصوكم بلونس ظهر لنا من صدق
خدمته ووقوفه ما أنشأ له مرتبة القونصوات فكل
غرض يعرض لنا الكلام معكم فيه فهو الواسطة
بيننا وبينكم في تبليغه وغيره معكم على المهادنة والصلح
صدر أمرنا المعتز بالله بتاسع ربيع النبوي المعظم عام [illegible] وألف

٢٥ ـــ رسالة من ملك المغرب إلى مجلس الأمة ، يبدي فيها غبطة جلالته لتعيين قنصل هولندي في المغرب عام (١٧٧٩) . SG 6989 . (١٥ يونيو ١٧٧٩) .

الأمر الذي دفع بالهولنديين إلى شراء السلام منهم عبر الهدايا مثلا والتي كان هدفها جعل الباشوات أقل اعتماداً على القراصنة . إن هذه الاستمالة بالرشوة والتي كانت ذات فعالية مؤقتة قد أعطت إنطباعاً بالليونة وذلك أعطى القراصنة الشعور بالقوة مما جعلهم يعيدون نشاطهم ضد السفن الهولندية . وهذا بدوره دفع الهولنديين من حين إلى آخر ، إلى استعمال القوة ، فقد كان الأسطول الهولندي في القرن السابع عشر أحد أقوى أساطيل العالم ، وذلك في محاولة لإجبار الباشوات والقراصنة العرب المحافظة على الوعود المقطوعة . إن مظاهرة القوة الهولندية هذه ، قد وضعت في خطر كلا من الحلف المأمول عقده ضد أسبانيا وكذلك العلاقة المرجوة من قبل الهولنديين مع دول المغرب العربي . كل هذا أوصل إلى حلقة مفرغة من القرصنة ، مباحثات السلام ، استمالة بالرشوة من أجل الأمن وفي النهاية ومجدداً استعمال أسلوب القوة . فاتصفت العلاقة بين هولندا ودول المغرب العربي بتغير في الأحلاف ، والعنف والسلام القلق . وفقط في القرن التاسع عشر والعشرين ، نمت العلاقات إلى مستوى الصداقة والاحترام المتبادل والسلام .

الهولنديون المقيمون في المشرق والمغرب :

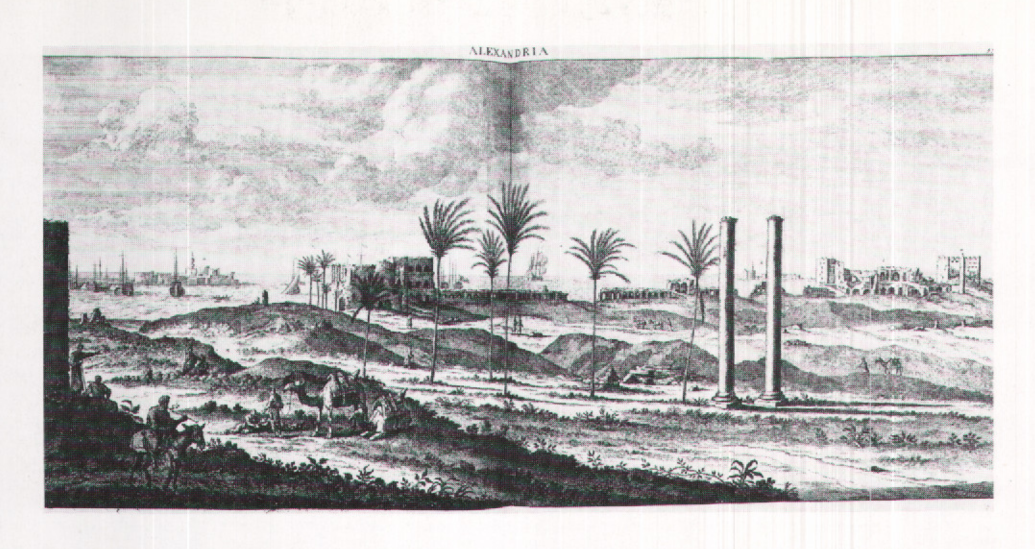
ونظراً للتطورات في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ـــ النجاحات الهولندية في البحر والتي كان منها تدمير أسطول أسباني على مشارف جبل طارق سنة (١٦٠٦) ـــ فقد بدأ التفكير في أسطنبول



٢٦ — « تدمر » . حفر على النحاس (٢٦٫٦ × ٦٢٫٨ سم) من عمل ده براون (١٦٩٨) .

من أنه إلى جانب توسيع العلاقات التجارية مع هولندا ، فإنه بالإمكان إقامة حلف معها ضد أسبانيا . فقد كان السلطان العثماني في حالة حرب ضد سيطرة آل هبسبرغ في البحر الأبيض المتوسط وأماكن أخرى . لذلك فقد وُجِّهت الدعوة إلى مجلس الأمة سنة (١٦١٠) من أجل إرسال سفير إلى اسطنبول . وفي سنة (١٦١٢) حصل الهولنديون على « امتيازاتهم » الخاصة ، وهذا يعني امتيازات تجارية خاصة وحقوق خارجة عن نطاق التشريع الوطني ، لإنشاء مركز تجاري هولندي في الدولة العثمانية وذلك مساواة بانجلترا وفرنسا اللتان كانتا قد حصلتا عليها لرعاياهما . وقد تم تنظيم بقاء الرعايا الهولنديين من تجار وبحارة وممثلين رسميين وسفراء وقناصل طبقاً للشريعة الإسلامية وذلك كما أصبح عليه الحال في القرون الوسطى في كل من مصر والدولة العثمانية وذلك فيما يتعلق بالموانيء التجارية ، والذي عرف في الماضي باسم « مؤسسات المشرق » .

منذ (١٥٩٨) على أقل تقدير ، كانت حلب ببزارها الكبير أهم مركز للتجارة الهولندية في المشرق . وبعد تعيين قنصل للتجار العشرين هناك عام (١٦٠٨) ، عين مجلس الأمة سنة (١٦١٣) كورنيليس راينيرسون باو (١٥٩٣ — ١٦٢١) — وهو ابن رئيس لبلدية امستردام ، كأول « قنصل عام » لسوريا الكبرى وبضمنها فلسطين . وكان باو هذا قد رحل إلى الشرق الأوسط سنة (١٦١٢) ضمن حاشية أول سفير هولندي لدى السلطان العثماني ألا وهو كورنيليس هاخه (١٥٧٨—١٦٥٤) . وقد اتخذ هاخه من اسطنبول مقراً له وذلك بين (١٦١٢) و (١٦٣٩) والذي تمكن من توفير تنظيم للتواجد الهولندي وذلك عبر إنشائه شبكة من القناصل في المشرق وشمال إفريقيا . وفي سنة (١٦١٢) وقع هاخه اتفاقاً والذي على أساسه يكون من حق ربابنة السفن الهولنديين القيام بنشاط تجاري في موانيء الدولة العثمانية وذلك تحت العلم الهولندي . أما فيما يخص المشرق فقد كان هناك إلى جانب حلب ، مجتمعات تجارية متواجدة في الإسكندرونة ، اللاذقية ، طرابلس الشام ، صيدا ، عكا ، يافا ، الإسكندرية والقاهرة . وإلى جانب العديد من المراكز القنصلية على الشواطيء الشمالية للبحر الأبيض المتوسط لكل من آسيا الصغرى وأوروبا ، فقد شكلت موانيء شمال إفريقيا حلقة مستقلة للتجارة والملاحة الهولندية وكذلك للنشاطات العسكرية والسياسية . كانت الجزائر ، تونس وطرابلس الغرب عواصم لولايات عثمانية تمتعت في الماضي بنوع



٢٧ ــ « الأسكندرية » . حفر على النحاس (٢٨ر٤ × ٦٣ سم) من عمل ده براون (١٦٩٨) .

من الحكم الذاتي فيما يتعلق بشئون الملاحة والعلاقات الخارجية . الحكومة المحلية والمكونة من الحاكم العام (بالتركية : بكلربكي أو باشا) ، رئيس الحامية ، الداي وهو من فرقة التدخل المحلية في الانكشارية ، وقادة البحرية وضباط الصف ، انتظموا كلهم في الديوان والذي كان لجنة تنفيذية . وكان هؤلاء وبشكل مباشر هم الطرف المحاور للفرنسيين وللإنجليز وللهولنديين .

عام (١٦١٦) عين مجلس الأمة واينانت ده كايزر حاملاً لقب قنصل ممثلا له في الجزائر ، كما وتمَّ تعيين نائب قنصل في تونس . كان الهولنديون وحماتهم يعيشون في هذه المناطق وسط الرعايا الغربيين الآخرين من إيطاليين وفرنسيين وانجليز . وكانوا على اتصال يومي بالسكان المحليين وبالتجار والحكومات . وكانت الحياة في « مؤسسات »المشرق وشمال إفريقيا مزيجاً من الطراز الشرقي والغربي . في سوريا ومصر كان على أجانب كل دولة البقاء في خان أو منزل يخصهم . فللهولنديين من المقاطعات الشمالية والجنوبية كان في حلب ما سمي بـ خان الفلمنك . وكان للقنصل مكتبه المكوَّن من السكرتير الأول وأمين السر بالإضافة إلى موظفين هولنديين وعرب . وقد احتل المترجمون وهم مترجمون شفويون وخبراء في القوانين والعادات المحلية مركزاً مرموقاً . وكثيراً ما كان يتم اختيار هؤلاء العاملين من أوساط التجار المشرقيين . وكانوا من رعايا السلطان ، ففي سوريا كانوا من الإيطاليين والمسيحيين الشرقيين ، اليونان والعرب ، وفي شمال إفريقيا من الذين اعتنقوا الإسلام أو من اليهود المحليين ذوي الأصل الأسباني ــ البرتغالي . وكان على الكنيسة البروتستانتية الهولندية والقساوسة خلق جو بيتي في هذا المجتمع . وخلال القرن الثامن عشر نشطوا فعلاً في كل من حلب والجزائر ولكن لفترة قصيرة .

لقد منحت الامتيازات والاتفاقيات الحرية الدينية للهولنديين . ولم تطور البروتستانتية الهولندية أبداً ، نشاطاً تبشيرياً في العالم العربي .

القرصنة والتجارة في المغرب :

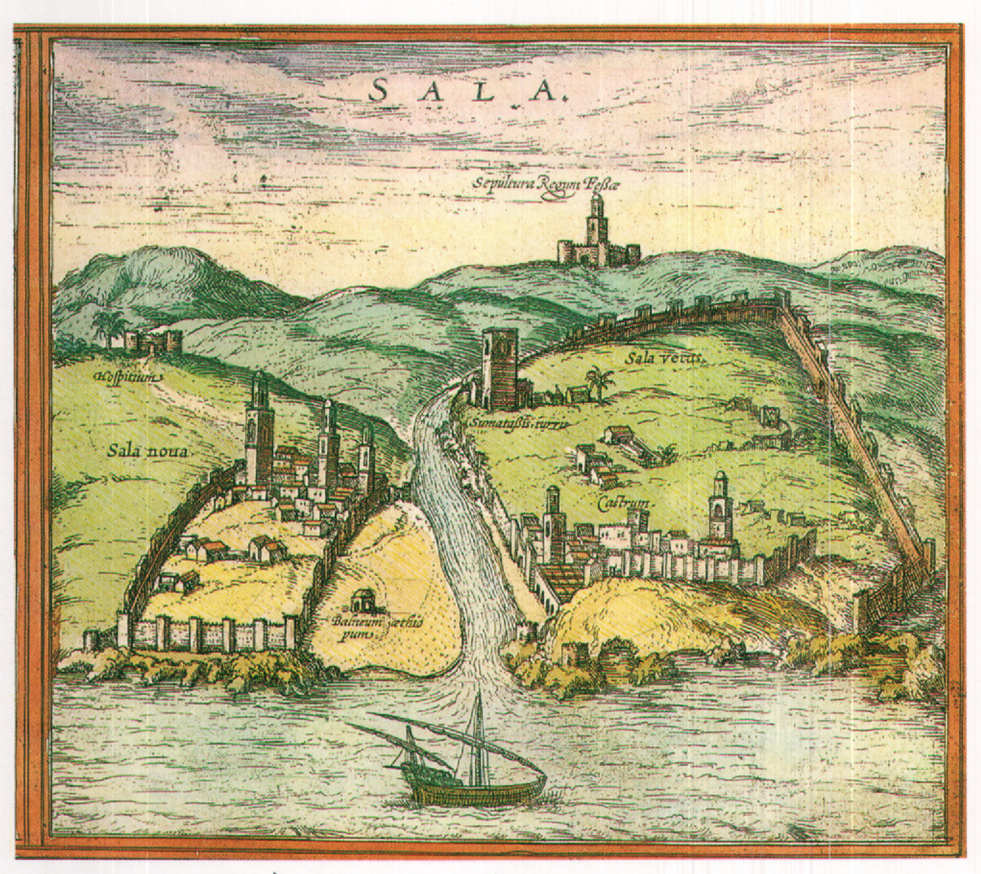
في الجزائر وفي ما يشبهها من مدن شمال إفريقيا كتونس وطرابلس ، كان للوجود الهولندي حضور متعدد الجوانب والذي في بعض جوانبه كان معاصراً . فإلى جانب تمركز القنصلية والتجار كانت

هناك مجموعات أخرى في شمال إفريقيا . فالقرصنة كانت أحد أشكال الحروب المسموح بها من قبل الدولة والتي كانت لها أسس راسخة منذ القـدم في ذلك الجزء من البحر الأبيض المتوسط . فخلال فترات ضعف الدولة العظمى سياسياً كانت تحاول سد العجز في الاقتصاد في البر بواسطة القرصنة وتجارة الرقيق وسرقة السفن . وكما كانت الملاحة الأسبانية هدفاً لسفن القراصنة العرب ، كانت في نفس المرتبة بالنسبة للقراصنة الهولنديين . كما ولعب الهولنديون من امستردام ، هورن ، فليسنغن ، واينكهاوزن دوراً نشطاً في القرصنة العالمية وذلك في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد قرَّب التقاء المصالح الطبيعي ما بين الهولنديين والعرب .

وقد اختار بعض القراصنة الهولنديين الجزائر مقراً لهم واستقروا هناك . ومنهم من اعتنق الإسلام ديناً وبذلك أصبحوا قراصنة « عرب » ، « جزائريين » أو « أتراك » . وقد وصل بعضهم إلى رتبة « أمير بحر » أو « باشا » في خدمة المغرب أو تحت الراية العثمانية . وهؤلاء الهولنديون هم الذين ادخلوا إلى بلدان المغرب العربي الصناعة الأوروبية الحديثة للسفن وللملاحة والحرب في البحر . وقد اشتهر سيمون ده دانسر مثلا بأنه هو الذي أدخل الملاحة الشراعية إلى تونس . وتطورت الجزائر ودول شمال إفريقيا الأخرى بسرعة مقلدة المثل الأوروبي . وقد ضم الأسطول الجزائري سنة (١٦٢٦) خمساً وخمسين قبطاناً (بالعربية : رئيس أو « ريِّس ») من أصل هولندي . مُرِ مراد رئيس ، المعروف باسم يان يانسون من هارلم وصل بأسطوله الحربي حتى ايسلندا . وهو الذي عيَّنه شريف المغرب في فترة لاحقة حاكماً على سلا وذلك بعد أن أنهى خدماته وقطع صلاته بالجزائر . وحالياً تحمل بلدية بير ماندريس أو بير مراد رئيس بالقرب من مدينة الجزائر اسمه وحتى يومنا هذا . سليمان رئيس ، المعروف باسم ده فينبور كان آمر أسطول مكوَّن من خمس وخمسين سفينة شراعية حديثة وذلك بين سنة (١٦٠٦) وسنة (١٦٢٠) . علي بتشينن رئيس ، وهو قبطان من فليسنغن وصل إلى رتبة « بكلربكي » أي باشا في الجزائر وذلك سنة (١٦٤٥) بعد أن كان ولسنوات عديدة (أمين طائفة) القراصنة . وبقي نصبه التذكاري في المدينة والذي بناه وسمي باسمه ألا وهو « جامع علي بتشين » . وهذه الأسماء هي رمز لاندماج الثقافة الملاحية العربية ـــ الإسلامية والهولندية والتي طورت شمال إفريقيا من هذه الناحية في القرن السابع عشر ، حتى أصبحت أكثر البلدان العربية تقدماً .

فإلى جانب تصدير التقنيات والمعدات الحربية وقطع الغيار للسفن ، كان هناك عنصر آخر للاندماج والتبادل الثقافي ، وهو تجارة الرقيق وبعبارة أدق ، تبادل أسرى المسلمين والمسيحيين الذين أُخذوا أثناء عمليات القرصنة داخل البحر الأبيض المتوسط وخارجه . ولم تكن هذه المادة الإنسانية « أيدي عاملة » من أجل تجذيف القوادس بقدر ما كانت استثمارا يعود بالفائدة على تجارة شمال إفريقيا . وكان لسوق الرقيق صفة بورصة تجارية . وكان ليفورنو الملحق الجزائري في هذه الشركة التي كانت المعاملة معها على قدم المساواة من قبل جميع الأطراف على كل من ضفَّتي البحر الأبيض المتوسط الشمالية والجنوبية . وشكَّلت التجارة أو كما فضل تسميتها في هولندا بالتحرير ، تحرير العبيد من بحارة وتجار هولنديين ، سبباً رئيسياً لتبادل العلاقات الدبلوماسية مع الدول البربرية والمغرب .

وقد كان الإسهام الهولندي للتجارة البحرية بين الشرق الأوسط وجنوب غرب أوروبا في المرتبة الأولى ، في توفير إمكانيات النقل على السفن الهولندية القوية والمدججة بالسلاح . أن النقل البحري أو كما عرف بالقوافل البحـــــرية التي كانت تنقل البضائع والمسافرين بين موانيء المشرق و مصر



٢٨ ــ « ســلا » ، من براون هوخنبرخ (١٥٧٢) الجزء الأول ، (٥٦) . أرشيف الدولة العام .

وشمال إفريقيا ، قد أعطت أكبر ربح . ويمكننا إعطاء الحجم الإجمالي للتجارة الهولندية بشكل تقريبي . ففي السنوات (١٦٠٠ ــ ١٦٥٠) كان المعدل السنوي لما مرَّ من سفن في مضيق جبل طارق هو ثلاث مئة سفينة . وتشكل هذه « التجارة البحرية » (٥٪) من مجموع التجارة الخارجية الهولندية في ذلك الوقت . وإلى جانب ذلك كانت هناك تجارة القرصنة والتي شكَّلت ولزمن طويل جزءاً أساسياً من اقتصاد شمال إفريقيا . وعلى ذلك لم تكن هناك رغبة بالسلام مع جميع الدول البحرية العظمى . ولكن من جهة أخرى ، كان على الحكومة الهولندية أن تستمر في عمل المستحيل من أجل حماية سفنها بقدر الإمكان . لذلك كان لابد من المحافظة على علاقات جيدة مع مراكز القوى المختلفة في شمال إفريقيا .

فالاتفاق مع المغرب عام (١٦١٠) والامتيازات عام (١٦١٢) كوَّنت النتيجة الأولى للمحاولات الهولندية للمحافظة على علاقات صداقة مع مراكز القوى هذه . ومنذ (١٦١٥) بديء في علاقات دبلوماسية مباشرة . وكان يوسف داي من تونس أول من وافق من الدول البربرية على عقد سلام : « صلح وصلاح » و « عهد وأمان » ، وهذا كما كانت تسميته من قبل الحكام المسلمين والذين طبقاً للشريعة الإسلامية من غير المسموح لهم بعقد سلام دائم أو اتفاق متبادل مع الدول غير المسلمة . وقد تمَّ الاتفاق على تبادل تحرير الرقيق وعلاوة على ذلك تثبيت جنسية السفن الهولندية حسب نظام الأوراق الثبوتية .

كما وسوف يقام بالتفتيش من أجل التأكد من عدم وجود رعايا من الأعداء أو حمولة لهم . ونحن نرى هنا تكرارا للنقاط التي وردت في المعاهدات التي عقدت خلال القرن السابع والثامن عشر مع المغرب ، الجزائر ، طرابلس وتونس . أما حق التفتيش فسوف يبقى مثاراً للخلاف . كذلك فإن السياسة الهولندية كانت دائماً قائمة على حرية التجارة وحرية الملاحة : « سفينة حرة = بضاعة حرة » ، كان هذا هو المصطلح الذي يلخص مفهوم وجهة النظر في ماهية الحق . وبالرغم من أن الدول العربية لم توافق على هذه النقطة فإن هذا لم يؤد إلى قطع دائم للعلاقات . إن الإبقاء على علاقات صداقة مع دول المغرب العربي ، بقي يشكل شيئاً مهماً بالنسبة لهولندا ، فعملت هولندا الكثير ، كما يظهر من سلسلة المعاهدات التي عقدت خلال القرنين ، والتي تلت المعاهدات الأولى التي عقدت مع الجزائر وتونس عام (١٦٢٢) . وفي تلك السنة نجح الأستاذ كورنيليس بايناكر من خرونينجن والذي بسبب معرفته باللغات الشرقية اختاره مجلس الأمة ليقوم بالمباحثات في الجزائر وتونس ــ نجح بعد جهد جهيد في التوصل إلى عقود كان هدفها إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة ولفترة بين الدول المعنية . والملفت للنظر أن أسلوب ومضمون العقود التي قام بإبرامها عام (١٦٢٢) تتناسب والأسلوب الغربي والتي تطابق القانون الغربي وتقع ضمن إطار الشريعة الإسلامية . وقد توافق الطموح الشخصي لهذا المفوض الهولندي وطموح منافسيه إلى درجة أنه أراد مؤسسة شخصية للقرصنة أو بالأحرى وكراً للقراصنة على الشاطيء الإفريقي . ولم يوافق الجزائريون على هذا التنازل . أما النتيجة العملية لهذا السلام المعقود فكان ظهور القراصنة الجزائريين في الموانيء الهولندية للاصلاح والتجديد .

إن فقدان التوازن بين الملاحة والميزان التجاري بين هولندا وشمال إفريقيا والذي كان لصالح الطرف العربي ، جعل الهولنديين يعملون جاهدين من طرفهم من أجل الحصول على تنازلات . وقد أدت حالة عدم التوازن هذه في النهاية بهولندا ، إلى أن تصرف المبالغ الباهظة من أجل شراء السلام الذي كان مهماً للتجارة . فإلى جانب التجارة العادية من تصدير واستيراد ، كانت تشحن السفن « الهدايا » من أجل ذلك . وكانت الهدايا على درجات:« الاعتيادية » والتي كانت تمنح سنوياً ، « وما فوق الاعتيادية » وهي تلك التي كانت تقدم في المناسبات ، كتعيين قنصل أو إبرام العقود وتبادل الممثلين . وكانت الاميرالايات تدفع تكاليف هذه البضائع والتي غالباً ما كانت استراتيجية المضمون ، كالمدافع مثلا أو السفن الهولندية الصنع . وهذه السلطات كانت أيضاً وبشكل مستمر تسلح بعض السفن أو الأساطيل العربية من أجل حماية التجارة في البحر المتوسط وعلى الشواطيء المغربية للمحيط الأطلسي . وبذلك أخذت البحرية الهولندية على عاتقها دوراً ثابتاً في نطاق الاتصال الدبلوماسي مع الدول العربية ، وهو نقل نماذج بضاعة كانت في نظر المسلمين الذين يحصلون عليها نوعاً من (الخراج) ــ وبالمقابل كان على الأسطول الهولندي من وقت لآخر عرض قوة المدافع الهولندية من أجل الإجبار على السلام . وهذه الطريقة استعملت بعد انتهاء حرب الثمانين سنة (١٦٤٨) وذلك عند سقوط أسبانيا كعدو مشترك في معاهدات سلام فيستفالن .

وبقيت هولندا قوة بحرية عظمى في البحر المتوسط دون أن تكون لديها طموحات استعمارية أو استيطانية . وكان دور الأسطول البحري هو حماية التجارة ودعم السلام في المناطق التي تقف فيها هولندا على الحياد . أما فيما يتعلق بالتجارة فإن سياسة الحياد هذه كانت تعني مثلا تزويد الطرفين بالسلاح والسفن وذلك طبعاً لقاء ثمن ، وذلك كما كان عليه الحال في الحرب بين جمهورية البندقية والدولة

العثمانية سنة (١٦٤٥ ــ ١٦٦٩) . وكان للسفن الحربية الهولندية تواجد منتظم في مياه شمال إفريقيا . فأمير البحر ميخيل ادريانسون ده رايتر (١٦٠٧ ــ ١٦٧٦) قاد أسطولا إلى الجزائر وتونس (وأيضاً إلى طرابلس ولكن هناك دون نتيجة إيجابية) لعقد سلام في (١٦٦٢) (اللوحات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) . إن هذا القائد البحري البطل في التاريخ الهولندي كان قد تعلم مهنته كقرصان مبتدىء في نفس المياه ، وكثيراً ما تجوهلت هذه الحقيقة .

على المستوى الدبلوماسي تطورت العلاقات بين هولندا ودول المغرب العربي إلى درجة أن المغرب والحكام العثمانيين في الدول البربرية بعثوا ممثلين إلى لاهاي والذين غالباً ما كانوا يمكثون في هولندا فترة طويلة . وفي ذلك الوقت لم تكن هناك علاقات دبلوماسية مشابهة مع الأجزاء الأخرى من العالم العربي . فقام مجلس الأمة بمبادرة وذلك بإرسال مبعوثيه . فوصل الجزائر في (١٢ أكتوبر سنة ١٦٧٥) الدكتور توماس هيس بصحبة أسطول حربي مكوَّن من أربع سفن (لوحة ٣٣) . وقد أبقته المباحثات هناك حتى (١٦٧٩) . وكانت النتيجة عقداً تجارياً وسلاماً دائماً حسب النموذج الغربي مبوَّباً بشكل مواد . وانضمت طرابلس إلى هذا العقد . وكان زخارياس كوسارت أول قنصل هولندي تمَّ تعيينه في ليبيا وذلك من (١٦٨٣) وحتى (١٦٩٣) . أما تونس فقد رفضت الموافقة على سلام في حين أن الجزائر وطرابلس وافقتا على ذلك . وهذا يتناسب ونموذج السياسة الخارجية للدول البربرية والذي يقضي بعدم عقد سلام جماعي في نفس الوقت مع دولة أوروبية بحرية عظمى . وكان لابد من بقاء القرصنة وذلك لأهميتها التجارية . والظاهر أن الحكومة المغربية قد شاركت في تطابق السياسات بين دول المغرب .

وبشكل عام فقد بدأ في نهاية القرن السابع عشر ظهور انتظام وثبات أكبر في العلاقات بين هولندا ودول شمال إفريقيا العربية . وكثيراً ما تمَّ عقد العقود وبحثها بشكل جماعي وهذا ما كان عليه الأمر في الفترة الواقعة بين (١٧٠٣) و (١٧٠٤) ، حيث أن الملفت للنظر هو كتابة النص بالعربية وبخط مغربي جميل بدلا من اللغة التركية التي كانت مستعملة حتى ذلك الحين من قبل قنصليات كل من الجزائر ، تونس وطرابلس (لوحة ٣٦) . في عام (١٧١٢) عقدت المعاهدات من جديد وذلك بعد فترة من المشاكل . في عام (١٧٢٦) عاد السلام مجدداً بعد حالة حرب وقد أجرى المباحثات أمير بحر هولندي حمل معه الهدايا من هولندا كواجب سنوي . واستمرت العلاقات على هذا المنوال طوال القرن الثامن عشر . ولقد احتوت الميزانية الهولندية لعام (١٨٠٢) على خمسين ألف جيلدر للهدايا السنوية « الاعتيادية » والتي قدمت لباي الجزائر . وعلى مئة وثلاثين ألف جيلدر كهدايا « فوق اعتيادية » والتي كانت تقدم من وقت لآخر من أجل تشجيع السلام واستمراره . في السنوات (١٧٣١ ، ١٧٥٧ ، ١٧٦٠ ، ١٧٦٨ ، ١٧٩٤) عقدت المعاهدات أو أعيد تثبيتها . عام (١٧٠٥) غادرت إلى تونس بعثة مكوَّنة من ثلاثة موظفين كبار تحت إمرة المقدم فرانك وذلك بناء على دعوة من الباي من أجل الإرشاد في إعادة تنظيم الميناء والقلاع . هذا المثال على المساعدات التقنية شكَّل إلى جانب إبرام العقود أكبر إثبات على الأهمية المعلَّقة على علاقات السلم مع شمال إفريقيا . وعقدت المغرب معاهدات مع هولندا في الأعوام : (١٦٨٣ ، ١٦٩٢ ، ١٧٣٠ ، ١٧٥٢ ، ١٧٩١) وخلال الفترة التي كانت فيها (سلا) مستقلة عقدت اتفاقيات في (١٦٥١ ، ١٦٥٩) . وخلال القرنين السابع والثامن عشر سكن القناصل الهولنديون في المغرب في صافي ، سلا ، تطوان ، العرائش ، الصويرة وطنجة .

وقد ظهر بأن نهاية « النظام القديم » للعلاقات قد جاءت للجزائر سنة (١٨١٦) . وبالاعتماد على حجج واهية قام أسطول هولندي انجليزي مشترك بالهجوم من أجل إيقاف الرق بالقوة وأيضاً من



٢٩ ـــ « منظر للجزائر من (الحب) ـــ سفينة أمير البحر الهولندي الشهير ده رايتر » (١٦٦٢)، من عمل رينير نومس، المدعو ب ـــ زيمان (١٦٢٣ ـــ ١٦٦٧/٨) . صورة زيتية على قماش (٦٣ × ١١٠ سم) متحف



الدولة في أمستردام . لقد رافق نومس أمير البحر الهولندي ميخيل أدريانسون ده رايتر في زيارة الأسطول إلى الجزائر ، تونس ، طرابلس (ليبيا) وسلا سنة (١٦٦٢) . وبهذه المناسبة كرّس المدن برسوم زيتية على قماش .

أجل الحد من أعمال القرصنة من الجزائر ، وقد أدت دبلوماسية المدفعية هذه إلى إعادة تثبيت العهود المعقودة وإلى إطلاق سراح جميع الرقيق المسيحيين والذين بلغوا ألفاً ومائتين وأحد عشر ، منهم ثمان وعشرين هولندياً . بعد هذا الهجوم عاد السلام إلى المنطقة وأصبح بالإمكان استمرار التجارة إلى المشرق دون أن تواجه خطراً كبيراً من الدول البربرية . إن احتلال الفرنسيين للجزائر عام (١٨٣٠) قد وضع نهاية لمكانة الجزائر كميناء للقراصنة مرهوب الجانب وذلك على امتداد أربعة قرون .

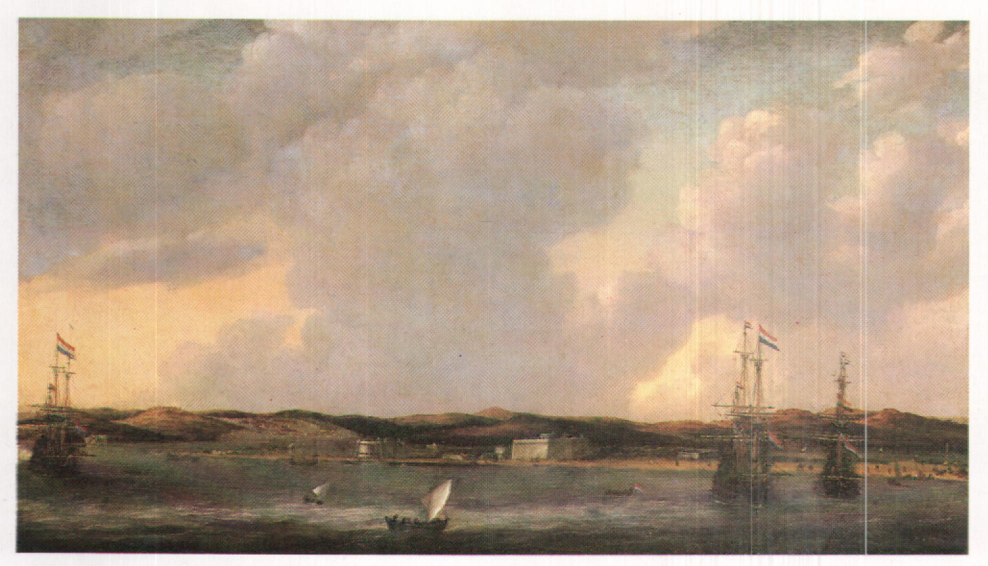
القنصليات والتجارة في المشرق :

كان لهولندا تجارة مع مصر ولكن على نطاق أضيق ، فالمنافسة الانجليزية والفرنسية كانت قوية بحيث أن القنصلية والتي تمركزت في أول الأمر في الاسكندرية سنة (١٦٢٧) كانت في البدء مأهولة بشكل غير منتظم . وفقط في القرن الثامن عشر أصبحت الظروف هناك مستقرة فأصبحت القنصلية مأهولة وبشكل مستمر وذلك منذ (١٧٣٣) . قام تجار المشرق الهولنديون بزيارة كل من سوريا وفلسطين وذلك قبل العام (١٦٠٠) . وبينما كانت حلب أهم مركز تجاري في المنطقة والتي من خلالها تمت الاتصالات مع مصر فقد هبطت أهمية هذا المركز بالنسبة للقوافل التجارية العالمية بين آسيا وأوروبا وذلك قبيل منتصف القرن السابع عشر . وبقيت تجارة المشرق الهولندية بسبب استيراد السوق المحلية للمنتجات الهولندية والأوروبية كالسماد المعبأ في علب ، الرصاص ، الحديد ، خشب البرازيل ، والآن كإشارة إلى التغير الكبير في اتجاه تجارة الفلفل ، القرنفل ، وجوز الطيب من الهند . إن العملة التجارية الفضية الهولندية ، الربع الأسدي (بالعربية : أرسلاني أو أبو الكلب) كانت مرغوبة من قِبَل الكثيرين كوسيلة للدفع موثوق بها . وقد اشتمل التصدير من سوريا على العفصة الجوزية ، القز ، صوف الغنم ، القطن ، الكتان ، أنواع الجلد ، الفستق الحلبي ، الحجارة الكريمة واللؤلؤ .

حوالي (١٦٥٦) كان يعيش في حلب ما يقارب المئتين من التجار الانجليز والفرنسيين والهولنديين مع قنصلياتهم وقد دار التبادل التجاري كل صباح في ساحة الخان . وكان جميع التجار يتجمعون طبقاً لجنسياتهم مع بعضهم البعض في خانهم الخاص والتابع لقنصليتهم الخاصة . وكان للقنصليات أطباء خاصون ، حلاقون ، خياطون ، حذاؤون ، خبازون ومتخصصون بالبنادق . ولم يسمح لسكان المدينة المسلمين الاستفادة من هذه الخدمات . وكانت مقبرة الجاليات الأجنبية من هذه الخدمات . وقد سارت التجارة في « المؤسسات » عبر سماسرة ووسطاء الذين غالباً ما كانوا من طبقة التجار غير المسلمين . وهذا يعني أنه لم يكن بإمكان الهولنديين والتجار الأجانب البيع والشراء مع تجار القوافل ، وإنما كان عليهم التعامل مع أسعار حكومية ثابتة . وإلى جانب المترجمين كان باستطاعة هؤلاء السماسرة المحليين ومع مرور الزمن ، النمو حتى تصبح مجموعة غنية ذات نفوذ في القرن التاسع عشر .

إن تنظيم « المؤسسات » في المشرق والاهتمام بتأمين صحة الهولنديين وكذلك تنظيم استمرار المراكز التجارية ، لم تكن كل هذه من المهام الملقاة على عاتق شركة ذات نفوذ في هولندا ، كما كان عليه الأمر في انجلترا . وفي (١٦٢٥) أُقيمت كليَّة « مدراء التجارة في المشرق والملاحة في البحر الأبيض المتوسط » في امستردام . وكان من صلاحيات هذا الهيكل ، وضع واجبات وقوانين بخصوص الحجم الأدنى للسفن وكذلك تسليحها ، وتشكيل قوافل مرافقة في حالة كون هولندا في حالة حرب مع انجلترا مثلا . وقد نظمت هذه الإدارة أيضاً ، كيفية إدارة القنصل لرعاياه وأبناء بلده حيث تواجد ، عبر قوانين عامة حددت مختلف المهام المنوطة بالقنصل والسكرتير الثاني ، ومسؤول المالية ومستشار « الملل » الهولندية في الشرق الأوسط .

ويمكننا أن نلاحظ كيف أن النظام التجاري والقانوني والسياسي للتجار الأوروبيين الأجانب وموظفي



٣٠ ــ «منظر لتونس»، من عمل زيمان (١٦٢٣ ــ ١٦٦٧/٨) . صورة زيتية على قماش (٦٣ × ١١٠ سم) . متحف الدولة في أمستردام .



٣١ ــ «منظر لطرابلس» (ليبيا) ، من عمل زيمان (١٦٢٣ ــ ١٦٦٧/٨) . صورة زيتية على قماش (٦٣ × ١١٠ سم) . متحف الدولة في أمستردام .

القنصليات ، قد تطور تدريجياً ليصبح نظاماً ثابتاً تمّ قبوله من جميع الأطراف وعُمل به في القرن الثامن عشر . وخلال القرن الثامن عشر لم تكن هناك معارضة لا من قبل القضاة ولا من قبل العلماء ولا المفتين في تطبيق الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بوقف إطلاق النار وحماية الأجانب غير المسلمين الذين يرغبون البقاء في ديار المسلمين ما يزيد على السنة . وقد حُددت هذه العلاقة بما سمي بالامتيازات . عام (١٦٣٤) مدد السلطان مراد الرابع العمل بالامتيازات التي حصلت عليها هولندا سنة (١٦١٢) وبعدها مُددت مرة ثانية وذلك على نطاق أوسع . وكذلك جُددت عام (١٦٨٠) من قبل السلطان محمد الرابع . إنها هذه الامتيازات الأخيرة التي كانت مصحوبة بقرار سلطاني في نفس السنة والذي حافظ على صلاحيته بالنسبة للمركز الهولندي في الشرق الأوسط حتى (١٩١٤) وقانونياً حتى (١٩٢٣) .

في القرن الثامن عشر بقيت المواد المنسوجة والشراشف مهمة كمواد تصدير من هولندا ، بينما تم استيراد مواد النسيج والخيوط ، ولاحقاً أكثر فأكثر من القطن من دول المشرق . كذلك بقي عتق العبيد المسيحيين من النشاطات التي يقوم بها السفير والقنصل في المشرق وشمال إفريقيا . وقد وصل المعدل السنوي لما وصل من سفن من المشرق إلى الموانيء الهولندية بين (١٧٣١) و (١٧٥٠) ما يقارب العشر سفن . وقد تضاءل هذا العدد باقتراب سنة (١٧٨٤) حتى وصل سنة (١٨٠٧) إلى الصفر . وتدريجياً أصبح نظام العلاقات أكثر عصرية . قبل (١٨٠٤) وصل التبادل كذلك إلى مستوى دبلوماسي وقنصلي مع كل من المغرب والجزائر وتونس وطرابلس . فجاء الكثير من المبعوثين والممثلين لحكومات البلدان المعنية إلى هولندا للمكوث طويلاً أو قصيراً . ففي (١٨٠٤) جاء القنصل العثماني الأول إلى أمستردام وهذا يدل على ارتفاع مستوى العلاقات المتبادلة . وقد اختفت التجارة الهولندية مؤقتاً من الشرق الأوسط في السنوات (١٨٠٧ وحتى ١٨١٤) وذلك بسبب سياسة الحصار التي قامت بها فرنسا القيصرية . وقد أدى هذا الانقطاع المؤقت لاستقلال هولندا في سنة (١٨١٠) إلى توقف في العلاقات .

الفترة بين (١٨١٤ و ١٩١٤) :

استرجعت هولندا استقلالها من فرنسا القيصرية في عام (١٨١٤) . فعينت حكومة دولة هولندا ، التي أصبحت الآن مملكة ، ممثلاً لها في اسطنبول وطلبت منه عمل بحث طويل حول وضع القنصليات القديمة . وبفضل المحافظة على التقاليد والمصالح الثابتة فقد أعيد فتح القنصليات القديمة . وقد كان في الكثير من الأحوال باستطاعة موظفي « النظام القديم » استعادة مناصبهم وبسهولة . ففي تونس مثلاً بقيت القنصلية في أيدي « سلالة » نايسن التي زاولت أعمال القنصلية منذ (١٧٥٠) . ولقد تمت إعادة بناء مركز هولندا من جديد في المشرق وشمال إفريقيا ولكن بمستوى منخفض وذلك بالدعم الدبلوماسي لكل من بريطانيا العظمى وروسيا . ولكن التجارة بعد (١٨١٤) كانت محدودة الحجم . وقد لعبت المملكة الهولندية على الصعيد السياسي دوراً ما كدولة عظمى محايدة وذلك أثناء حرب التحرير اليونانية (١٨٢٤ ــ ١٨٢٩) وذلك عندما قطعت الدولة العثمانية علاقاتها مع الدول العظمى . ولقد تم إيقاف إدارة تجارة المشرق الذي أعيد إنشاؤها على النمط القديم ، وذلك سنة (١٨٢٦) بسبب عدم وجود أي مصلحة للتجارة في هذه المؤسسة القديمة . وقد قامت شركة هولندا للتجارة وهي شركة وطنية استثمارية تجارية كانت منظمة بشكل مختلف ، بتأسيس ما يسمى بمكاتب تجارية في الشرق الأوسط . وقد كانت هذه بمثابة بنوك ، وهي مازالت قائمة حتى يومنا هذا ولكن بشكل آخر .

قررت الحكومة العثمانية خلال القرن التاسع عشر عقد اتفاقات شفوية مع الدول الأوروبية لملاءمة



٣٢ ــ « منظر لسلا » (والرباط) في المغرب ، من عمل زيمان (١٦٢٣ ــ ١٦٦٧/٨) . صورة زيتية على قماش (٥ر٦٥ × ١١٠ سم) . متحف الدولة في أمستردام .



٣٣ ــ « توماس هيس » (ولد ١٦٣٤/٣٥) ، مندوب ومفوض مجلس الأمة لدى حكومات الجزائر ، تونس ، وطرابلس (١٦٧٥ ــ ١٦٨٥) مع ابني أخيه يان وأندريس هيس وخادم ، سنة (١٦٨٧) . من عمل ميخيل فان موسر (١٦٤٥ ــ ١٧٠٥) . صورة زيتية على قماش (٧٦ × ٦٣ سم) . متحف الدولة في أمستردام .

٣٤ ــ «طرابلس» (ليبيا) (١٦٦٥). من رسم خ. ده ياخر (١٦٢٦ ــ ١٦٧٩/٨٠). صورة زيتية على قماش (٩٠ × ٦٦ سم). المتحف البلدي، متحف سيمون فان خين، دوردريخت.



٣٦ ــ مصادقة جزائرية على معاهدة سلام مع هولندا بتاريخ (١٥ مارس ١٧٠٨). أرشيف الدولة العام، SG 12597.66.

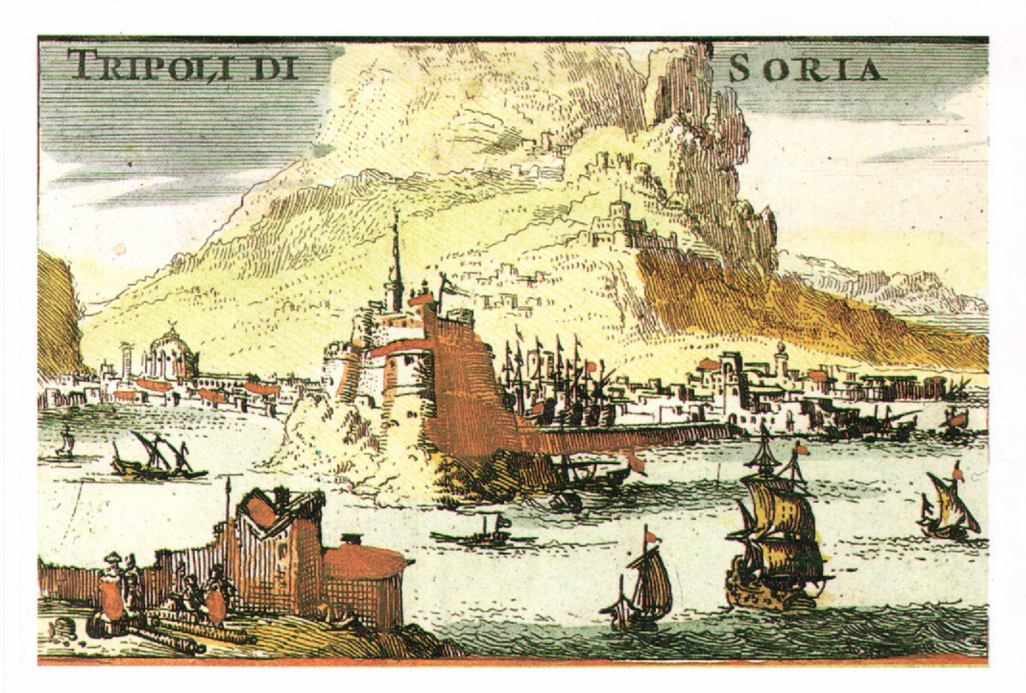


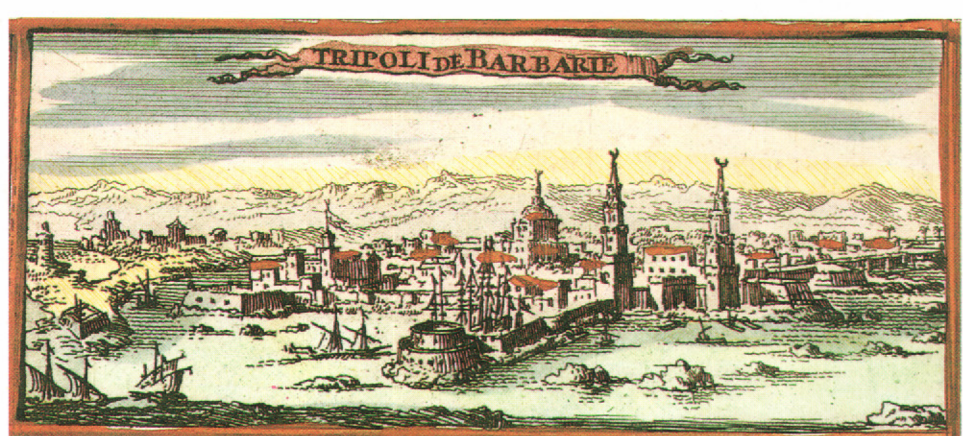
٣٧ — «قصر الملك المغربي في مراكش» (١٦٤١) . حفر على النحاس (٢٥٧ × ٥٣ سم) من عمل أدريان ماتهام الذي رافق السفير الهولندي أنطونيوس ده ليديكركي في مهمة إلى المغرب وذلك سنة (١٦٤٠ — ١٦٤١) . متحف الدولة في أمستردام ، FM 1828 .

العلاقات التجارية بالظروف الجديدة . وكانت هولندا إحدى الدول العظمى التي عقدت معاهدات مشابهة في الأعوام (١٨٤٠ ، ١٨٦٢ ، ١٨٧٣) . فمع المغرب عقدت هولندا معاهدات تجارية عام (١٨٥٨) ولاحقاً بالمشاركة مع دول عظمى أخرى عقدت اتفاقية مدريد وذلك عام (١٨٨٠) . أما ما يخص التجارة الهولندية مع مصر فلابد لنا أن نذكر أن الحكومة المصرية عام (١٨٨٦) قد عاملت هولندا كأكثر الدول امتيازاً . وقد تم استبدال هذا النظام لاحقاً باتفاق تجاري واتفاق تسديدي .

في أواسط القرن التاسع عشر تقريباً ، كان لهولندا قنصليات في الأسكندرونة ، أنطاكيا ، بيروت ، حلب ، اللاذقية ، صيدا ، طرابلس الشام ، الأسكندرية ، طرابلس الغرب ، تونس ، الجزائر ، طنجة والصويرة . وقد لاحظ الرحالة الهولنديون الذين زاروا المشرق في ذلك الوقت ، إن السكان لا يعرفون بوجود هولندا كدولة عظمى منفصلة عن إنجلترا ، فرنسا ، روسيا وألمانيا .

لقد أدى تأسيس البريد البري بين هولندا والهند الهولندية عام (١٨٤٤) إلى جعل مصر أكثر شهرة . فقد تم نقل المسافرين والطرود البريدية بالعربات من الأسكندرية عبر القاهرة فالسويس . وقد تعرف الكثير من الشخصيات الهولندية على أجزاء من مصر . وقد كان افتتاح قناة السويس عام (١٨٦٩) على جانب عظيم من الأهمية . وكان كبير المهندسين الهولندي ف. و. كونراد المدير التقني أثناء عمليات الحفر . كما وأن القنصل الهولندي العام في الأسكندرية س. و. رايسنارز (١٨٥١ — ١٨٧٥) والذي وصفه فرديناند دي لسيبس بأنه أكثر المعاونين حميمية ، قد شغل منذ (١٨٥٤) وحتى (١٨٦١) منصب الممثل العام في مصر ، ولاحقاً حتى (١٨٧٥) كنائب رئيس لشركة قناة السويس . وقد قام بهذه المهام على أساس شخصي .





٣٥ ـــ « طرابلس الشام » و « طرابلس البربرية » (ليبيا) ، من « الخريطة الحديثة للبحر الأبيض المتوسط » . من عمل رومين ده هوخه ، أمستردام ، ١٦٩٤ . أرشيف الدولة العام ، MCAL 1368 .



بدأت الملاحة الهولندية باتجاه الهند بالنمو في البحر المتوسط من جديد . فعادت الجزائر كميناء عبور . وتأسس في بورسعيد مركز تجاري هولندي ، كما وتم افتتاح قنصليات هولندية في كل من بورسعيد والأسكندرية وذلك عام (١٨٧٥) و (١٨٧٩) على التوالي .

قررت الحكومة الهولندية عام (١٨٨٤) نقل قنصلها العام في مصر والذي كان ممثلها السياسي هناك منذ سنوات ، من الأسكندرية إلى القاهرة التي أصبحت المركز السياسي للبلاد . أما شركة السفن البخارية الملكية الهولندية فقد افتتحت خطاً من أمستردام إلى المشرق . وبدأ السواح بالقدوم إلى فلسطين ومصر . وكان هناك استثناء نادر لابد من ذكره هنا ، وهو قصة السيدة الكسندرينا تيني (١٨٣٥ — ١٨٦٩) من لاهاي والتي كانت مولعة بالسفر . فقد قامت منذ (١٨٦١) وحتى موتها برحلات استكشافية عبر مصر متوغلة في السودان قاطعة النيل الأبيض . وفي عام (١٨٦٩) قتلها الطوارق وذلك أثناء رحلة قامت بها عبر فزان (جنوب ليبيا) بالقرب من مرزق . وقد عاشت الكسندرينا تيني سنواتها الخمس الأخيرة في القاهرة . وقد قيّم أبناء بلدها الجانب العلمي لرحلاتها تقييماً عالياً .

في أوائل القرن السابع عشر بدأ بالظهور في هولندا اهتمام بآثار مصر القديمة . وحوالي (١٦٢٠) ابتديء بتجميع الآثار المصرية القديمة في ليدن . وقد قام الكثير من باحثي الآثار الهولنديين بزيارة لمصر حيث لاقوا الدعم من القنصل الهولندي العام في الأسكندرية . وفي هذا المجال لابد لنا من أن نذكر أن الأستاذ الليدني رويفنز وخليفته ليمانس ، قد عملا الكثير من أجل تطوير علم الآثار المصرية . وفي تلك الفترة نمت مجموعة متحف ليدن للآثار المصرية .



٣٨ ــ «منظر لدمشق» (١٨٦٠) . صورة بالألوان المائية (٢٤٫٨ × ٣٥٫٥ سم) من عمل شارلز وليم ميريديث فان ده فيلده (١٨١٨ ــ ١٨٩٨) . متحف تيليرز ، هارلم ، CC 8 .



٣٩ ــ «منظر لبعلبك» (١٨٨٦) . صورة بالألوان المائية (٢٣٫٥ × ٣٠٫٥ سم) ، من عمل شارلز وليم ميريديث فان ده فيلده (١٨١٨ ــ ١٨٩٨) . متحف تيليرز ، هارلم ، CC 5 .



٤٠ ـ « منظر لجبل الشيخ من ثلثاثه » لبنان (١٨٦١) . صورة بالألوان المائية (٢٥٫٤ × ٣٥٫٧ سم) ، من عمل شارلز وليم ميريديث فان ده فيلده (١٨١٨ ـ ١٨٩٨) ، متحف تيليرز ، هارلم ، CC 7 .

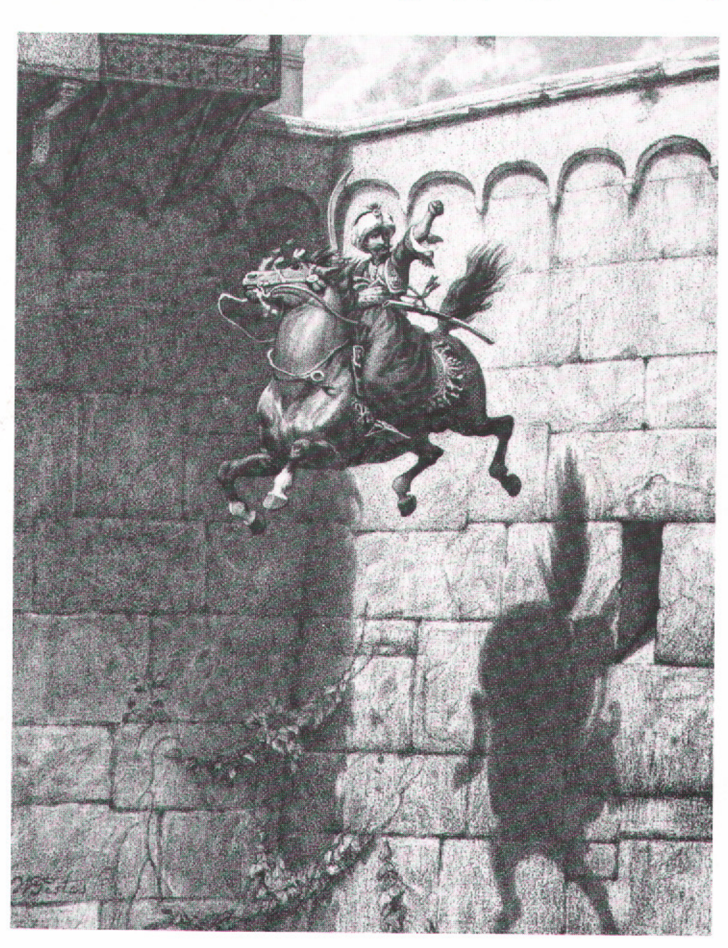


٤١ ـ « منظر لمدينة جنين » في شمال فلسطين (١٨٦١) . صورة بالألوان المائية (٢٥٫٥ × ٣٦ سم) من عمل شارلز وليم ميريديث فان ده فيلده (١٨١٨ ـ ١٨٩٨) . متحف تيليرز ، هارلم ، CC 6 .

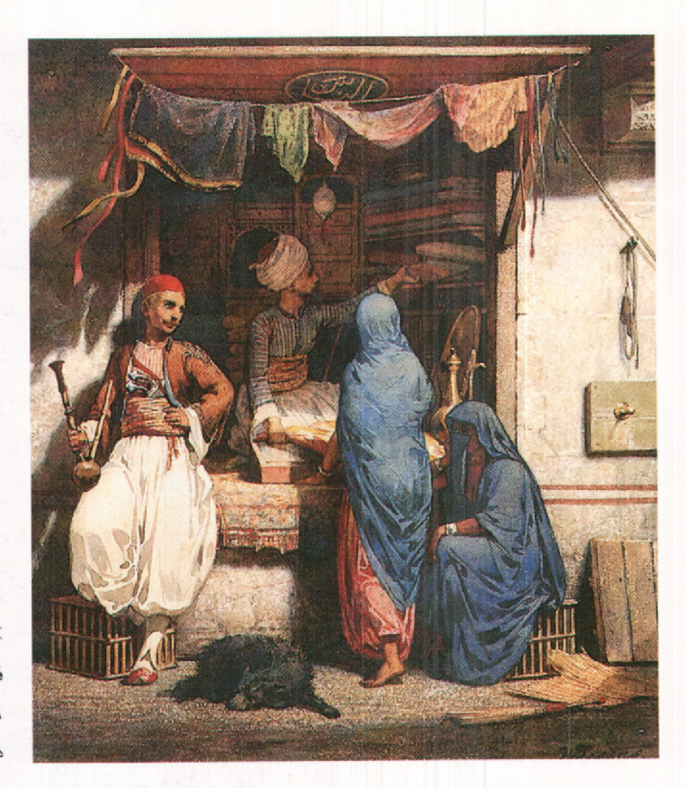
الفنانون الهولنديون :

قام العديد من الرحالة الهولنديين ذوي الاهتمامات الفنية الخاصة ، بزيارة العالم العربي وذلك منذ القرن الخامس عشر . وكان من أشهرهم الفنان كورنيليس ده براون (١٦٥٢ ــ ١٧١٩) والذي مكث منذ (١٦٧٤) حتى (١٦٩٣) في الشرق الأوسط ، وزود وصفه لرحلاته إلى مصر وفلسطين وسوريا برسوم للآثار التاريخية . ومازالت هذه الرسوم مشهورة ويعود ذلك إلى دقتها (اللوحات ١٤ ، ٢٦ ، ٢٧) . أدريان ماتهام فنان من هارلم رافق في الفترة ما بين (١٦٤٠ و ١٦٤١) السفير الهولندي انطونيوس ده ليديكركي ، في بعثته إلى المغرب وهناك عمل الكثير من الرسوم (لوحة ٣٧) . وقد تمّ ذكره بمناسبة الرسوم التوضيحية التي أُرفقت بتقرير الرحلة التي قام بها بيتر فان دن بروكه رئيس التجار في شركة الهند الشرقية (لوحة ٢٣) . وبعد ده براون زار العديد من الفنانين الهولنديين العالم العربي . وبإمكاننا القول وإلى حد ما بوجود مدرسة « مستشرقين » بين فناني القرن التاسع عشر . ولابد لنا على وجه الخصوص من أن نذكر شارلز وليم ميريديث فان ده فيلده (١٨١٨ ــ ١٨٩٨) الذي قام برسم العديد من الرسوم المائية أثناء تجواله في سوريا وفلسطين ولبنان (اللوحات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) .

وليم ده فامارس تستاس (١٨٣٤ ــ ١٨٩٦) والذي أمضى الكثير من الوقت في تجسيد الطبيعة وجمال المدن المشرقية مركِّزاً على الحياة اليومية (اللوحات ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) .



٤٢ ــ « قفزة المملوك » (صورة تخيلية للقفزة الجريئة التي هرب بها أحد المماليك من المذبحة التي قام بها جنود محمد علي باشا والي مصر) . طباعة على الحجر من أعمال ف. هـ. فيسينبرخ تقليداً لوليم ده فامارس تيستاس . متحف الدولة في أمستردام .



٤٣ ــ « دكان في القاهرة » . صورة بالألوان المائية (١٧٫٧ × ١٥٫٣ سم) من عمل فامارس تيستاس (١٨٣٤ ــ ١٨٩٦) . متحف تيليرز ، هارلم ، DD 25 .



٤٤ ــ « مراسل مصري » . صورة بالألوان المائية (٢٩٫٥ × ٤٠ سم) . من عمل وليم ده فامارس تيستاس (١٨٣٤ ــ ١٨٩٦) متحف تيليرز ، هارلم ، DD 26 .



٤٥ ــ « باب جديد » في الجزائر . حفر (١٨ × ١٠٫٢ سم) من عمل فيليب زلكن (١٨٥٧ ــ ١٩٣٠) .
متحف الدولة في أمستردام (Z 530 Nr. 9 (315 - H .

فيليب زيلكن (١٨٥٧ ــ ١٩٣٠) والذي اشتهر بأعماله عن الجزائر (لوحة ٤٥) .
وماريوس باور (١٨٦٧ ــ ١٩٣٢) عامل الحفر الذي كان مشهوراً في عصره على نطاق عالمي ونجح كأول فنان هولندي يبني مكانة مرموقة له قائمة على أعماله المشرقية (لوحة ٤٦) .

خاتمة :

شاركت هولندا كدولة عظمى ذات امتيازات في ما سمي بحق التشريع الدولي أو المشترك في الشرق الأوسط والذي تم إقراره في مصر عام (١٨٧٥) .

في (١٨٨٣) احتلت الملاحة الهولندية المرتبة الثالثة من حيث الأطنان بما يخص قناة السويس . (روسيا مثلاً كانت في المرتبة الثامنة) . وعلى ذلك فقد شاركت هولندا في المؤتمر الدبلوماسي الذي كان عليه وضع قناة السويس في حالة حيادية محمية . كما وكانت من موقّعي « اتفاق القسطنطينية » في ٢٩ أكتوبر (١٨٨٨) جنباً إلى جنب مع الدول العظمى كأسبانيا ، إيطاليا ، وتركيا . وإلى جانب السهر على المصالح التجارية والملاحة وحماية رعاياها ، لم يكن للمملكة الهولندية أي سياسة شرق ــ أوسطية نشطة . ويمكن التحدث عن « سياسة إسلامية » قرب نهاية القرن التاسع عشر والتي كانت تهدف إلى إقامة تعاون أوثق مع الحركات الإسلامية . ولكن هذه السياسة لم تلاق إلا القليل من التطبيق في المشرق وشمال إفريقيا .

وقفت هولندا موقفاً مبدئياً حتى قبل العام (١٩١٤) وقائلة بأنه لابد من تنظيم العلاقات مع بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على أساس من المساواة المتبادلة . لذلك فإنها لم تعارض إلغاء امتيازاتها من قبل الحكومة العثمانية عام (١٩١٤) و (١٩٢٠) ومن قبل حكومة الانتداب في العراق ، سوريا ، لبنان وفلسطين وذلك عام (١٩٢٢) .



٤٦ — « بازار في القاهرة » (١٩٢٢) . حفر (٢٣ × ٣ر١١ سم) من عمل ماريوس باور (١٨٦٧ — ١٩٣٢) ، المتحف البلدي في لاهاي ، 1933 - 169 P .

مفردات هولندية ذات أصل عربي

الدكتور نيقولاوس فان دام*

غالباً ما كان يؤدي احتكاك الشعوب المختلفة بالعرب أو بالحضارة العربية ــ الإسلامية إلى اقتباس مفردات ومعاني من كنوز اللغة العربية . ونتيجة للفتوحات العربية ــ الإسلامية في كل من شمال إفريقيا وبلاد الرافدين وبلاد الشام ، فقد تمّ تعريب القسم الأكبر من هذه الشعوب . ومع هذا فتظهر في اللهجات العربية المختلفة الآن ، آثار تلك اللغات واللهجات التي كانت سائدة في تلك المناطق في الماضي . أما الشعوب الأخرى كالفرس والترك وشعوب شاطيء إفريقيا الشرقية والتي أصبحت على اتصال وثيق ومباشر بالعرب وبحضارتهم وذلك نتيجة للفتوحات العربية ــ الإسلامية ، فقد حافظت في حقيقة الأمر على لغتها مع أنها استعارت من العربية الكثير من المفردات الخاصة . وأيضاً ، فإن حقيقة كون العربية لغة الإسلام نظراً لنزول القرآن الكريم بها ، فقد تشجع الكثير من الشعوب الإسلامية في سبيل اكتساب اللغة العربية .

أما بالنسبة للشعوب الأوربية غير المسلمة ، فقد كانت شعوب البحر الأبيض المتوسط أكثر اتصالاً بالعرب وبالحضارة العربية ــ الإسلامية وذلك نتيجة موقعها الجغرافي وعلى الأخص الأسبان والبرتغاليين حيث سيطر العرب على شبه جزيرة أيبيريا طوال قــرون عــديدة (٧١٤ــ ١٤٩٢) ، لذا يتضح لِمَ كانت اللغات الرومانية وعلى وجه الخصوص الأسبانية والبرتغالية نسبياً أكثر غزارة بالمفردات العربية . وقد أعدّ البروفيسور المذكور سابقاً دوزي ومن خلال عمل تلميذه أنجلمان ، دراسة مفصلة قام بنشر نتائجها في معجمه الشهير « معجم الألفاظ الأسبانية والبرتغالية المقتبسة من العربية » (ليدن ، ١٨٦٩) .

كما وأننا نجد في اللغات الجرمانية ، ومن بينها الهولندية مختلف المفردات العربية وعددها أكثر مما يخطر عادة على بال المرء ، والتي لم يصل معظمها مباشرة من اللغة العربية وإنما وجدت طريقها عبر اللغات الرومانية .

أما فيما يتعلق بالهولندية فإننا نجد بالإضافة إلى ذلك مفردات ذات أصل عربي والتي وصلت إليها مباشرة عبر اللغة الماليزية وذلك بسبب علاقات هولندا التاريخية الخاصة بأندونيسيا الإسلامية ، والتي لا نجدها في اللغات الأوربية الأخرى ، مثلاً : Piekeren, Soebatten, Kabaai وهي عن العربية : فكر ، صُحبة وقباي .

وقد أسهم دوزي كذلك في مجال دراسة المفردات الهولندية ذات الأصل العربي بملاحظات في نشرته « مشرقيات » (ليدن ، ١٨٦٧) حول دخول مفردات وتعابير عربية إلى الهولندية . وقد ترك ما جمعه لكونه أصبح عديم الاستعمال . وحيث أن اللغة الحية في حركة مستمرة فقد أصبح بعض المفردات

---

* الدكتور نيقولاوس فان دام ، حالياً نائب مدير إدارة إفريقيا والشرق الأوسط في وزارة الخارجية في لاهاي ، وسابقاً القائم بالأعمال الهولندي في كل من طرابلس ــ ليبيا وبيروت ــ لبنان .

ذات الأصل العربي التي ذكرها دوزي غير مستعملة في أيامنا هذه ، وفي نفس الوقت حلّت مفردات عربية جديدة لم تكن مستعملة في فترته مثلاً : safari, kasba, gamasche وهي عن العربية : سفر ، قصبة ، وغدامسي . وما اللائحة المرفقة أدناه من المفردات الهولندية ذات الأصل العربي والبعيدة كل البعد عن ادعاء الكمال ، إلا مؤشراً لتلك المجالات التي كان العرب فيها على علاقة بالعالم الخارجي (عبر التجارة والملاحة مثلاً) ، ومقياساً يؤكد تأثيرهم وإشعاعهم ضمن محيطهم وذلك على المستوى الحضاري والعلمي وعلى مستويات أخرى . وعند استرشادنا بالقائمة أدناه فإن المواضيع التالية تلفت انتباهنا بشكل خاص :

١ ــ **العلـــوم** : ازدهرت العلوم عند العرب في القرون الوسطى وخلال نفس الفترة لم تكن أوروبا متطورة في هذا المجال . لذا فليس من المستغرب أن يستعير الأوروبيون مفردات وتعابير عربية في المجالات الآتية :

(أ) **الرياضيات** : عبارات مثل : algebra, algoritme,cijfer, zero وهي عن العربية : الجبر ، الخوارزمي ، وصفر .

وفي هذا المجال علينا ألا ننسى أن الأرقام المستعملة في الغرب ماتزال تسمى « بالأرقام العربية » .

(ب) **الكيمياء** : عبارات مثل :
amalgaam, alambiek, aludel, chemie, alcohol, alkali, benzine, borax, elixer, natrium, realgar, talksteen
وهي عن العربية : الملغم ، الأمبيق ، الأثال ، الكيمياء ، الكحل ، القلي ، لبان جاوي ، البورق ، الاكسير ، نطرون ، رهج الغار وطلق .

(جـ) **علم النجوم** : عبارات مثل : azimut, zenit, nadir, almucantarat, alhidade وهي عن العربية : السمت ، النظير ، المقنطرة والعضادة .

وأسماء العديد من النجوم مثل : aldebaran, betelgeuze, algol, altair, deneb, fomalhaut وهي عن العربية : الدبران ، يد الجوزاء ، الغول ، ذنب وفم الحوت . ولم يتم ذكر جميع هذه الأسماء في اللائحة المرفقة .

٢ ــ **الملاحة البحرية** : كان هناك الكثير من الاتصال بين هولندا والعرب في مجال الملاحة البحرية وذلك عبر التجارة أو القرصنة . مثلا : admiraal, arsenaal, averij, haverij, kabel, sjorren, kalefateren, moesson وهي عن العربية : أمير البحر ، دار الصناعة ، عوّر ، حبل ، جرّ ، قلف وموسم .
وكذلك في أنواع السفن مثلا : bark, brik, feloek, tartaan وهي عن العربية : بارجة ، فلوكة ، حراقة وطريدة .

٣ ــ **التجارة** : قابل التعابير : aval, cheque, douane, karaat, kaliber, magazijn, risico, tarief, tarra وهي عن العربية : حوالة ، صك ، ديوان ، قيراط ، قالب ، مخزن ، رزق ، تعريفة وطرح .

٤ ــ **المواد الغذائية** : قابل التعابير : abrikoos, andijvie, aubergine, gember, koffie, limonade, mokka, ranja, rijst, saffraan, siroop, stroop, sorbet, spinazie, suiker, tamarinde وهي عن العربية : البرقوق ، هندباء ، باذنجان ، زنجبيل ، قهوة ، ليمون ، المخا ، نارنج ، رز ، زعفران ، شراب ، شربة ، أسبانخ ، سكر وتمر هندي .

٥ ــ **النسيج والملابس** : قابل التعابير : alepine, atlas, damast, gala, gamasche, kabaai, kaftan, kamizool, katoen, mohair, mousseline, satijn, tabijn وهي عن العربية : حلبي ، أطلس ، دمشقي ، خلعة ، غدامسي ، قباي ، قفطان ، قميص ، قطن ، مخيّر ، موصلي ، زيتوني وعتابي . كما ويمكننا أن نذكر في هذا المجال arabesk كنوع من التزيين وأيضاً marokkijn وهو نوع من الجلد المغربي .

٦ ــ **الألوان والأصباغ** : قابل التعابير : almagra, anijl, azuur, lazuur, karmijn, karmozijn, lila, oranje وهي عن العربية : المغرة ، النيلة ، لازورد ، قرمز ، ليلك ونارنج .

وفيما يلي نجد إيضاحاً بشتى المفردات الهولندية ذات الأصل العربي .

لائحة من المفردات الهولندية ذات الأصل العربي

abrikoos	(عن العربية : البرقوق ، باللاتينية : praecox)
Acrab	(على اسم نجم في برج العقرب)
adat	(عن العربية : عادة . عبر الماليزية)
admiraal	(عن العربية : أمير البحر)
alambiek	(عن العربية : الأمبيق وهو أداة للتقطير)
alchemie	(عن العربية : الكيمياء)
alcohol	(عن العربية : الكحل)
Aldebaran	(نجم في برج الثور . عن العربية : الدبران) (المتخلفتان أو التابعتان من بنات ((أطلس)) السبع)
alepine	(نوع من النسيج . عن العربية : حلبي)
alfa أو halfa	(العشب . عن العربية : حلفا)
algazel	(عن العربية : الغزل . أنظر كذلك gazelle)
algebra	(عن العربية : الجبر)
Algol	(اسم نجم في برج الجوزاء . عن العربية : رأس الغول)
alogritme	(طريقة حسابية . عن العربية : الخوارزمي)
alhidade	(عن العربية : العضادة) وهي جزء من الاسطرلاب .
alkali	(عن العربية : القلي)
alkoof	(عن العربية : القبة ، بالأسبانية : alcoba أو alcova)
Almagest	(عن العربية : المجسطي ، وهو كتاب في الفلك لكلاوديوس بطليميوس وقد تمت ترجمته إلى العربية في بداية القرن التاسع . وهو مكون من أداة التعريف العربية ((أل)) والمفردة اليونانية Megiste — الكبير)
almagra	(عن العربية : المغرة) وهي تراب لونه أحمر — بني
almanak	(عن العربية : المناخ)
almicantara أو almucantarat	(عن العربية : المقنطرة)
Altair	(نجم في مجموعة النسر) (عن العربية : النسر الطائر)
aludel	(عن العربية : الأثال) وهي عملية التسامي .
amalgaam	(عن العربية : الملغم) وهو الزئبق الممزوج بمعدن آخر .
amber	(عن العربية : عنبر)
amulet	(عن العربية : حمائل)
andijvie	(عن العربية : هندباء)
anijl	(عن العربية : النير ، النيلة ، بالفارسية : نيله)
arak	(عن العربية : عرق . قابل — عرق التمر)
arsenaal	(عن العربية : دار الصناعة)
atlas	(عن العربية : أطلس)
aubergine	(عن العربية : باذنجان)
aval	(عن العربية : حوالة)
averij و haverij	(عن العربية : عور . قارن : عوّر) وتعني العطب .
azimut و zenit	(عن العربية : السمت ، جمعها — السمت . قارن : سمت الرأس)
azuur و lazuur	(عن العربية : لازورد — بالفارسية : لاجورد)
bark و brik	(عن العربية : بارجة)
bedoeien	(عن العربية : بدوي ، جمعها — بدو)
benzine, benzol	(عن العربية : لبان جاوي) وهو صمغ عطر .
Betelgeuze	(نجم في برج الجوزاء . عن العربية : يد الجوزاء محرفة إلى بت الجوزاء)
borax,boor,boowater	(عن العربية : البورق . بالفارسية : بوره)
bougie	(عن العربية : بجاية — المدينة الجزائرية المشهورة بتجارة الشمع) .

chamsin (عن العربية : خمسين)
cheque (عن العربية : صك)
chiffon (عن العربية : شف)
cijfer و zero (عن العربية : صفر)
civet و civetkat (عن العربية : زباد ، سنور زباد)
damascener,damasceren,damast (عن العربية : دمشقي)
Deneb (نجم في كوكبة الدجاجة. عن العربية : ذنب الدجاجة)
dey (عن العربية : داعي)
divan (عن العربية : ديوان)
douane (عن العربية : ديوان . أصلا عن الفارسية بمعنى : سجل)
dragoman, drogman (عن العربية : ترجمان — ترجم)
elixer (عن العربية : الاكسير)
emir, emier (عن العربية : أمير)
faki (e) r (عن العربية : فقير)
fellah (عن العربية : فلاح)
feloek (عن العربية : حرّاقة . بالأسبانية : Haloque أو Faloque ومنها فلوكة بالعربية)
fennek (عن العربية : فنك . وهو ثعلب أفريقي صغير)
fomalhaut (نجم في برج الحوت . عن العربية : فم الحوت الجنوبي)
gala (عن العربية : خلعة)
gamasche (نوع من الجورب يستعمل غطاء لحذاء وساق متسلق الجبال لحمايته من الثلج . عن العربية : غدامسي ، على اسم المدينة الليبية — غدامس التي اشتهرت بصناعة أحذية جلدية تشابه هذا النوع من الغطاء) .
gazelle (عن العربية : غزال)
gember (عن العربية : زنجبيل)
giraffe (عن العربية : زرافة)
Hamal (نجم في برج الكبش . عن العربية : حمل)
harem (عن العربية : حرم)
hasjiesj (عن العربية : حشيش . ومنها Assassijnen والفرنسية Assassiner)
henna (عن العربية : حناء)
jasmijn (عن العربية : ياسمين)
kabaai (بالفارسية : كبا . عن العربية : قباي ، عبر الماليزية kebaja وهو نوع من الملابس)
kabel (عن العربية : حبل)
kadi (عن العربية : قاضي)
kaffer و kafir (عن العربية : كافر)
kaftan (عن العربية : خفطان ، قفطان)
kalefateren, kalfaten (عن العربية : قلّف)
kaliber (عن العربية : قالب)
kalief (عن العربية : خليفة)
kameel (عن العربية : جمل)
kamfer (عن العربية : كافور)
kamizool (عن العربية : قميص . وبالفرنسية chemise)
kandij (عن العربية — الفارسية : قند) وهو عسل قصب السكر إذا جمد
karaat (عن العربية : قيراط)
karaf (عن العربية : غرّافة)
karmijn و karmozijn (عن العربية : قرمز)
kasba (عن العربية : قصبة)
katoen (عن العربية : قطن)
kismet (عن العربية : قسمة)
koepel (عن العربية : قبة . بالإيطالية : Cupola انظر alkoof)

koffie	(عن العربية : قهوة)
koran	(عن العربية : قرآن)
kwintaal و quintaal	(عن العربية : قنطار)
lak	(عن العربية : لكّ) وهو صباغ أحمر ضارب إلى الأرجواني .
lazuur	(عن العربية : لازورد . انظر كذلك : azuur)
lila	(عن العربية : ليلك) وهو جنبة عطرة الزّهر .
limoen و limonade	(عن العربية : ليمون)
luit	(عن العربية : العود)
macaber	(رهيب . عن العربية : مقابر ، جمع مقبرة)
magazijn	(عن العربية : مخزن ، جمعها — مخازن)
mameluk	(عن العربية : مملوك)
maraboe (t), marabout	(عن العربية : المرابط)
masker, maskerade	(عن العربية : مسخرة)
mat	(انظر schaakmat)
matras	(فراش . عن العربية : مطرح)
minaret	(عن العربية : منارة)
moefti	(عن العربية : مفتي)
moesson	(عن العربية : موسم)
mohair	(نسيج من وبر معزاة أنقرة الحريري الطويل . عن العربية : مخيّر)
mokka	(عن العربية : المخا . على اسم الميناء اليمني الذي كان يتم منه تصدير هذا النوع من القهوة)
molla	(عن العربية : مولى)
moskee	(عن العربية : مسجد)
mousseline	(عن العربية : موصلي ، من الموصل) وهو نوع من القماش .
mozarabisch	(المسيحيون تحت الحكم العربي — الإسلامي في أسبانيا . عن العربية : مستعرب)
mulat	(عن العربية : مولّد)
mummie	(عن العربية : مومياء)
nabob	(عن العربية : نائب ، جمعها نواب) (وهو الأوروبي الذي أصبح في الهند ثريا)
nadir	(عن العربية : النظير ، من نظير السمت)
natrium	(عن العربية : نطرون) وهو كربونات الصوديوم .
oase	(عن العربية : واحة)
oranje	(بالفارسية : نارنك ، نارنج . عن العربية : نارنج)
piekeren	(عن العربية : فكر . عبر الماليزية : pikir)
ranja	(انظر : oranje)
razzia	(عن العربية : غزوة)
realgar	(عن العربية : رهج الغار) وهو خام أحمر برتقالي .
riem	(عن العربية : رزمة)
Rigel	(نجم في برج الجوزاء . عن العربية : رجل)
risico	(مخاطرة . عن العربية : رزق)
rijst	(عن العربية : أرز ، رز)
rob	(عن العربية : رُب)
safari	(عن العربية : سفر ، عبر السواحلية : Safari)
saffraan	(عن العربية — الفارسية : زعفران)
sahara	(عن العربية : صحراء)
salep	(عن العربية : خصى الثعلب . وهو مادة نشوية تستخرج من بعض نباتات الفصيلة السحلبية)
samoem	(عن العربية : سموم)

sandelhout	(عن العربية : صندل)
satijn	(عن العربية : زيتوني ، من المدينة الصينية Tseu - Tung حيث يصنع هذا القماش)
schaak, schaakmat	(عن الفارسية : شاه والعربية : مات . وتعني : الشاه مات)
sirocco	(عن العربية : شرقي)
siroop, stroop	(عن العربية : شراب)
sjeik	(عن العربية : شيخ)
sjorren	(عن العربية : جرّ)
soebatten	(عن العربية : صحبة . عبر الماليزية : sobat)
sofa	(عن العربية : صفّة) وهو نوع من المقاعد .
soefisme	(التصوف . عن العربية : صوف)
sorbet	(عن العربية : شربة)
spinazie	(عن العربية : أسبانخ)
suiker	(عن العربية : سكر)
sultan	(عن العربية : سلطان)
Swahili	(عن العربية : سواحلي)
tabijn	(عن العربية : عتابي . وهو قماش يصنع في — العتابية ، وهو حي في بغداد)
talisman	(عن العربية : طلسم) وهي نوع من التعاويذ .
talksteen	(عن العربية : طلق)
tamarinde	(عن العربية : تمر هندي)
tarief	(عن العربية : تعريف ، تعريفة)
tarra	(وزن الغلاف المشتمل على السلعة . عن العربية : طرح) .
tartaan	(عن العربية : طريدة)
vizier	(عن العربية : وزير)
X	(رمز رياضي . عن العربية : ش (شيء) . عبر الأسبانية x والذي ينطق كالحرف (ش))